حِزْبُ الله
النَّشأة. العَمليَّات. الجِهَاد. الانْتِصَار

« إن إسرائيل التي تملك القنابل الذرية والأسلحة الفتاكة من الطائرات والقذائف الصاروخية.. والله إنها لأوهن من بيت العنكبوت»

مقدمة

انتزع حزب الله في لبنان احترام الجميع، الأصدقاء والأعداء على حد سواء.. فالعدو الصهيوني مثلاً يأخذ تهديدات وكلام قيادات حزب الله مأخذ الجد، على عكس الآخرين الذين لا يعيرهم اهتمامًا ولا اكتراثًا.. وعلى المستوى العربي فإن الجماهير العربية باتت تعتبر حزب الله هو الجزء الحي في النسيج، بل هو الأمل.. فقد أعطاها لحظات عز وكرامة غير مسبوقة، فلأول مرة تنسحب القوات الإسرائيلية دون قيد أو شرط من أراض عربية محتلة، بل تفر فرارًا أمام مقاومة باسلة وقادرة على إذلال الأعداء، ليس على المستوى العسكري فقط بل حتى على المستوى الإعلامي، فإعلام حزب الله من إذاعة وتليفزيون وإنترنت استطاع أن يؤثر على نفسية الشعب الإسرائيلي، وأن يحقق نوعًا من الهزيمة النفسية للإسرائيليين وذلك بفضل قيام رجاله بتسجيل العمليات المتميزة لحزب الله، وقد شاهد الجميع الجنود الإسرائيليين يبكون بين يدي جنود حزب الله، أو يفرون مذعورين أمامهم كأنهم الجرذان، وهذا أعطانا كعرب ومسلمين لحظات عز وثقة بالنفس، ولا شك أن سيكون لتلك الثقة بالنفس والعزة التي تراكمت من خلال عمليات حزب الله أثرها في

مواقف الجماهير العربية، ولا شك أيضًا أن تجربة حزب الله ضربت ثقافة التطبيع والسلام ضربة قاصمة لأنها أثبتت أن هناك خيارًا آخر غير خيار الخضوع لإسرائيل وهو خيار رابح ومنتصر. فحزب الله انتصر وأجبر إسرائيل على الفرار من جنوب لبنان، فلماذا نقبل بالذل والعار والتفريط في حقوقنا الوطنية ما دام المر مرتبطًا بالإيمان والإرادة أولاً وأخيرًا. وهكذا فإن ثقافة المقاومة أصبحت هي سيد الموقف على المستوى الشعبي العربي، والإحساس بعدم الأمان أصبح سيد الموقف لدى الجمهور الإسرائيلي الذي بات يدرك أن نهاية إسرائيل أصبحت قريبة، فبالضرورة سوف تكون هناك تجارب تستلهم تجربة حزب الله، وعاجلاً أو آجلاً ستمتلك الجماهير العربية أدواتها اللازمة لتكرار تجربة حزب الله هنا وهناك.. اليوم وغدًا وبعد غد، ولن يوقف هذا الزحف شيئًا، لا التزييف الإعلامي، ولا محاولات الإساءة إلى حزب الله أو التشويش على تجربته أو سحب رصيد الثقة من نفوس الجماهير أو قمع الجماهير وإرهابها، وكل هذا بفضل حزب الله ورجاله..

أثبت حزب الله أنه بالإمكان هزيمة إسرائيل حتى لو كانت أكبر قوة عسكرية إقليمية وتستند إلى أكبر قوة عالمية «أمريكا».. وأن الإنسان أقوى من التكنولوجيا، وأن سلاح الاستشهاد سلاح لا يمكن مواجهته، وهذا السلاح كفيل بإنهاء إسرائيل لأنه لو تصورنا مثلاً تنفيذ عملية استشهادية مرة واحدة كل شهر سواء كانت ناجحة أو فاشلة.. فإن الذعر سيدب في نفوس الإسرائيليين لأن اليهود أحرص الناس على حياة خاصة لو استمرت هذه العمليات بشكل منتظم لمدة طويلة.. عشر سنوات مثلاً، وبالتالي فمن المتوقع أن تحدث حالة ذعر عام داخل إسرائيل تؤدي إلى هجرة مضادة وإحساس بالضياع كفيل بتفجير إسرائيل على نفسها من الداخل، والتسبب في تفككها.. ومن ثم نهايتها وزوالها، هذا الكلام ليس نوعًا من المبالغة لأن الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان عندما سُئل في الكونجرس عن سبب عدم قدرة أجهزته ومخابراته على منع عملية نسف مقر قيادة البحرية الأمريكية «المارينز» في بيروت عام ١٩٨٣ رد بقوله: إن جميع الاستحكامات المعروفة في العالم قائمة على فكرة خوف المهاجم من الموت، فإذا كان المهاجم لا يخاف الموت فإنه لا حل هناك..

قد يتصور البعض أن نجاح حزب الله يجرع مثلاً إلى عبقرية رجاله أو كفاءة لهم غير مسبوقة، وهذا غير صحيح.. فالصحيح أنهم أفراد عاديون، وقياداتهم لا تتمتع بأية ميزات شخصية غير عادية، بل هي بركة الجهاد بمعنى أنه لا توجد كاريزما (حضور وجاذبية للشخصية) أو مواهب فذة، بل بركة الجهاد تجعل كل فرد في الحزب بمثابة أكفأ شخص وأكثر الناس عبقرية في السياسة والحرب والتكتيك والاستراتيجية وذلك بفضل الجهاد لأن الجهاد هو الذي يفجر الوعي والعبقرية لقوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ومعنى ذلك أنه لو قررت أي جماعة أو مجموعة استخدام الجهاد ضد إسرائيل كطريق إلى الاستشهاد ورضا الله فإن الله سيوفقهم إلى معرفة التكتيك السياسي الصحيح ويصبح هؤلاء عباقرة في كل مجال، وينتصرون أيضًا على إسرائيل ويحققون أهدافهم، وهذا المعنى هو العبقرية الحقيقية في تجربة حزب الله القابلة للتكرار بأي رجال شرط الإخلاص والرغبة في الجهاد والشهادة..

الجهاد فريضة شرعية

لا يختلف اثنان على أن الجهاد فريضة شرعية، وفريضة الجهاد أمر معلوم من الدين بالضرورة، لا ينكرها إلا كافر والعياذ بالله، وهذه الفريضة ثابتة بنصوص قطعية الثبوت وقطعية الدلالة، وتشغل مساحة كبيرة جدًا من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وكذلك تشغل مساحة واسعة جدًا من السلوك العملي للرسول ﷺ وكذلك سلوك الصحابة والتابعين، والعلماء في كل عصر ومصر مجمعون على فرضية الجهاد، وأنه حالة لازمة للأمة الإسلامية وللفرد المسلم على حد سواء بل وفي كل الحالات في اليسر والعسر في الرخاء وفي الشدة أمس واليوم وغدًا وحتى تقوم الساعة.

ونكاد لا نجد فريضة أخرى في الإسلام أخذت كل هذه المساحة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ومن سلوك الرسول والصحابة مثل فريضة الجهاد

ففي القرآن الكريم مثلا نجد أن الله تعالى قد فصل الآيات في فرضية الجهاد وفي أحواله وغاياته وفضل المجاهدين والشهداء والتحريض على القتال وتحليل أسباب النصر والهزيمة وتحديد أحكام العلاقات مع الأعداء وقوانين الحرب والسلم والعهود وغيرها ونجد هذا التفصيل أيضًا في السنة النبوية المطهرة وكذلك في سلوك الرسول ﷺ وصحابته الأبرار.

وسوف نحاول أن نقدم شيئًا من هذا الخضم الهائل من النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية وأقوال العلماء التي تتحدث عن فرضية الجهاد، وذلك على سبيل المثال فقط لأن الإحاطة كلها تحتاج بالطبع إلى مجلدات.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦][1].

ويقول تعالى: ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧٤]

وسورة الأنفال كلها حث على القتال وحض على الثبات فيه وبيان لكثير من أحكامه وحسبك منها قوله تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الآيات: ٦٠-٦٥].

وسورة التوبة كلها أيضًا حث على القتال وبيان أحكامه ومنها قوله تعالى:

﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ

(١) نلاحظ أنه في نفس سورة البقرة جاءت عبارة كتب عليكم لتقرر فريضة الصيام كما جاء في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ أي فُرض عليكم الصيام.

مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الآيتان: ١٤، ١٥]

و قوله تعالى ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [الآية: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الآية: ٤١].

وفي التنديد بالقاعدين والمتخلفين عن الجهاد قوله تعالى:

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة:٨١، ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التوبة: ٨٨].

ثم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ١٢٣].

وعلى أية حال، فإن المساحة الواسعة التي خصصت للجهاد في القرآن الكريم تضم سورًا بكاملها مثل التوبة والأنفال والفتح بالإضافة طبعًا إلى الكثير من الآيات في السور الأخرى بل لقد: أطلق على سورة كاملة اسم سورة القتال.

أما في السنة النبوية المطهرة، فالأحاديث عن الجهاد أكثر من أن تحصى، وعلى سبيل المثال قول الرسول ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق» رواه مسلم وأبو داود ونظائره كثيرة.

وقوله ﷺ: «اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» أخرجه الشيخان البخاري ومسلم وأبو داود.

وقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لولا أن رجال من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل» رواه البخاري ومسلم.

وقوله ﷺ في إطار الاهتمام بإعداد المعدات العسكرية المختلفة واللازمة للحرب: «من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقًا بوعده، فإن شبعه وريه وروثه في ميزانه يوم القيامة».

وقوله ﷺ: «غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر والذي يسدر في البحر كالمتشحط في دمه في سبيل الله سبحانه» رواه ابن ماجه.

وقوله ﷺ: «وفد الله ثلاثة الغازي والحاج والمعتمر» رواه مسلم.

وقوله ﷺ: «إذا تبايعتم بالنسيئة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم».

رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم.

وفي أقوال العلماء والفقهاء نجد أن جميع المذاهب المعتمدة وكذلك العلماء السابقين واللاحقين قد أجمعوا على فرضية الجهاد وفصلوا أحكامه وسوف نورد شيئًا

منها على سبيل المثال.

ففي مذهب أبي حنيفة قال صاحب «مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر» مقررًا أحكام الجهاد في مذهب الأحناف (الجهاد في اللغة بذل ما في الوسع من القول والفعل وفي الشريعة قتل الكفار ونحوه من ضربهم ونهب أموالهم وهدم معابدهم وكسر أصنامهم والمراد الاجتهاد في تقوية الدين بنحو قتال الحربيين والذميين إذا نقضوا والمرتدين هم أخبث الكفار للنقض بعد الإقرار والباغين، بدءًا منا فرض كفاية يعني يفرض علينا أن نبدأهم بالقتال بعد بلوغ الدعوة وإن لم يقاتلونا فيجب على الإمام أن يبعث سرية إلى دار الحرب كل سنة مرة أو مرتين وعلى الرعية إعانته وإذا قام به بعض سقط عن الباقين فإذا لم تقع الكفاية بذلك البعض وجب على الأقرب فالأقرب فإن لم تقع الكفاية إلا بجميع الناس فحينئذ صار فرض عين كالصلاة، أما الفريضة فلقوله تعالى:

﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ولقوله عليه الصلاة والسلام : (الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة وإن تركه الكل أثموا...) إلى أن قال: (فإن غلب العدو على بلد من بلاد الإسلام أو ناحية من نواحيها ففرض عين فتخرج المرأة والعبد بلا إذن الزوج والمولى وكذا يخرج الولد من غير إذن والديه والغريم بغير إذن دائنه).

وفي كتاب البحر (امرأة مسلمة سبيت بالمشرق وجب على أهل المغرب تخليصها ما لم تدخل حصونهم وحرزهم).

وفي مذهب الإمام مالك قال صاحب «بلغة السالك لأقرب المسالك» في مذهب الإمام مالك (الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى كل سنة فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي وبتعين [أي يصير فرضًا عليه كالصلاة والصوم] بتعيين الإمام وبهجوم العدو على محلة قوم فيتعين عليهم وعلى من بقربهم إن عجزوا ويتعين على المرأة والرقيق مع هذه الحالة ولو منعهم الولي والزوج والسيد ورب الدين إن كان مدينًا ويتعين أيضًا بالنذر، وللوالدين المنع منه في فرض الكفاية فقط، وفك الأسير من الحربيين إن لم يكن له مال يفك منه فرض كفاية وإن أتى على جميع أموال

المسلمين).

وفي مذهب الشافعي فيقول الإمام النووي الشافعي في متن المنهاج (كان الجهاد في عهد رسول الله ﷺ فرض كفاية وقيل عين وأما بعده فللكفار حالات أحدها: يكونون ببلادهم فرض كفاية إذا فعله من فيهم الكفاية من المسلمين سقط الحرج عن الباقين والثاني يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن وإن أمكن التأهب للقتال وجب الممكن حتى على فقير وولد ومدين وعبد بلا إذن).

وفي المذهب الحنبلي، يقول ابن قدامة الحنبلي في المغنى (والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقط عن الباقين ويتعين [أي يصبح فرضًا عليه] في ثلاثة مواضع هي: إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف ويتعين عليه المقام، وإذا نزل الكفار ببلدة تعين [أي أصبح فرض عين] على أهل قتالهم، وإذا استنفر الإمام قومًا لزمهم النفير معه وأقل ما يفعل مرة كل عام).

وفي المذهب الظاهري يقول ابن حزم في المحلى (والجهاد فرض على المسلمين فإذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم في عقر دارهم ويحمي ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقين وإلا فلا قال الله تعالى:

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ ولا يجوز إلا بإذن الأبوين إلا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين ففرض على كل من يمكنه إعانتهم أن يقصدهم معينًا لهم أذن الأبوين أم لم يأذنا إلا أن يضيعا أو أحدهما بعده فلا يحل له ترك من يضيع منهما).

وقال الشوكاني في السيل الجرار (الأدلة الواردة في فرضية الجهاد كتاب وسنة أكثر من أن تكتب ها هنا ولكن ذلك على الكفاية فإذا قام به البعض سقط عن الباقين وقبل أن يقوم به البعض هو فرض عين على كل مكلف وهكذا يجب على من استنفره الإمام أن ينفر ويتعين ذلك عليه).

ويقول الإمام الشهيد حسن البنا في رسالة الجهاد (أجمع أهل العلم مجتهدين ومفكرين سلفيين وخلفيين على أن الجهاد فرض كفاية على الأمة الإسلامية لنشر

الدعوة وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها والمسلمون الآن كما نعلم مستذلون لغيرهم محكومون بالكفار قد ديست أرضهم وانتهكت حرماتهم وتحكم في شئونهم خصومهم وتعطلت شعائر دينهم في ديارهم فضلاً عن عجزهم عن نشر دعوتهم فوجب وجوبًا عينيًا لا مناص منه أن يتجهز كل مسلم وأن ينطوي على نية الجهاد وإعداد العدة له حتى تحين الفرصة ويقضي الله أمرًا كان مفعولاً).

ومما سبق يتضح أن الجهاد فريضة شرعية وأنه ماض ومستمر إلى يوم القيامة وأن الجهاد في الأصل هو الهجوم على الكفار لنشر دعوة الإسلام وإعلان كلمة الله وأنه يجب على الأقل أن يكون مرة في العام، وأنه في هذه الحالة يكون فرض كفاية.

أما في حالة الاستثناء وهو أن يحصل العكس فيهاجم الكفار المسلمين أو يحتلون أرضهم فإنه يصبح في تلك الحالة فرض عين على كل مسلم ومسلمة بل يصبح من حق الزوجة أن تخرج للجهاد بدون إذن زوجها، والولد بغير إذن أبويه والعبد بدون إذن سيده ولمدين بغير إذن دائنه.

ولا شك أننا الآن في الحالة الثانية، لأن الكثير من أراض المسلمين محتلة مثل فلسطين والأندلس وغيرهما، ولأن الكثير من المسلمين يعانون من الظلم والقهر في أكثر من مكان من العالم مثل الفلبين وكشمير والهند وغيرها، ولأن هناك حالة من الهيمنة الغربية والأمريكية على بلادنا، وهذا كله يجعل الجهاد الآن فرض عين على كل مسلم ومسلمة.

فضل الجهاد والاستشهاد

الجهاد من أعظم فرائض الإسلام، وأكثرها ثوابًا عند الله تعالى، ويقع الجهاد كفريضة في أعلى القمة من الفرائض الإسلامية، وهو خير في الدنيا وفي الآخرة.

والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فيهما الكثير من الفضل المنسوب للجهاد وكذلك الثواب المرتجى للمجاهدين عمومًا والشهداء خصوصًا.

فمن ناحية أن الجهاد خير وبركة يقول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ

لَكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾.. [البقرة: ٢١٦].

ولا شك أن الجهاد خير وبركة، ولا يمكن لأمة أن تحيا بكرامة وعزة إلا بإعداد نفسها للجهاد، والجهاد يحقق للمسلم التوازن النفسي ويجعله قادرًا على الإبداع الحضاري بل إن هناك حقيقة تاريخية هي أن الإبداع الحضاري للمسلمين ارتبط بالجهاد فإذا ما قاموا بواجب الجهاد تقدموا في كل مجال وإذا ما تخلفوا عن هذا الواجب تخلفوا وانحطوا في كل مجال.

والجهاد هو الطريق إلى الرحمة والمغفرة يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٦: ١٥٨]

ويقول تعالى:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] ويقول تعالى:

﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٧٤].

ويقول تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.. [التوبة: ٨٨، ٨٩].

والجهاد أيضًا طريق إلى العزة في الدنيا.. يقول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾..[الفتح: ١٨، ١٩].

بل إن الجهاد من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، يقول الله تعالى:

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى

سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٩].

وفي الحديث الشريف، يقول رسول ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم من يكلم [أي يجرح] في سبيله إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك».. رواه النسائي والبخاري وأحمد ومسلم والترمذي ومالك في الموطأ والدرامي مع اختلاف في ترتيب الكلام في المتن واتفاق في المعنى.

ويقول أيضًا «اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» أخرجه الشيخان وأبو داود وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال «لا تستطيعونه» فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثة كل ذلك يقول: (لا تستطيعونه) ثم قال: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد» أخرجه الستة إلا أبو داود.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس.. إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو ظهر بعيره أو على قدمه حتى يأتيه الموت وإن من شر الناس رجلاً يقرأ كتاب الله تعالى لا يرعوي بشيء منه) رواه النسائي.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ يقول: (عينان لا تمسَّهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله تعالى) رواه الترمذي. وعن أبي عميرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقتل في سبيل الله أحب إلى من أن يكون لي أهل المدر والوبر». رواه أحمد بن حنبل.

عن راشد بن سعد رضي الله عنه عن رجل من الصحابة أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟

فقال: «كفاه ببارقة السيوف على رأسه فتنة» أخرجه النسائي.

وعن فضل الإنفاق في أمور الجهاد قال رسول ﷺ: «من أنفق في سبيل الله تعالى كتبت له بسبعمائة ضعف».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عينان من ماء عذب فأعجبته فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويُدخلكم الجنة، اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق [أي قدر وقت حاب الناقة] ناقة وجبت له الجنة) رواه الترمذي.

وعن المقدام بن معد بكرب قال: قال رسول ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال يغفر له من أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويُجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويُوضع على رأسه تاج الوقار.. الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويُشفع في سبعين من أقربائه» رواه الترمذي وابن ماجه.

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «من رابط ليلة في سبيل الله سبحانه وتعالى كانت كألف ليلة صامها وقامَها» رواه ابن ماجه.

وعن أنس عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لأن أشيع مجاهدًا في سبيل الله فاكففه على رحله غدوة أو روحة أحب إليَّ من الدنيا وما فيها» رواه ابن ماجه.

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول ﷺ: «يُشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته» رواه أبو داود.

وهكذا فإن الجهاد منزلة عظيمة وهو طريق الفوز في الدنيا والآخرة، لدرجة أن المتصوفة المنقطعين إلى العبادة كانوا لا يتركون الجهاد بل يحرصون عليه وكذلك العلماء الذين وهبوا حياتهم للعلم والتعليم، فقد كان عبد الله بن المبارك الفقيه الزاهد متطوعًا في أكثر أوقاته بالجهاد وكان عبد الواحد بن زيد الصوفي الزاهد يجاهد دائمًا، وكذلك كان شقيق البلخي شيخ الصوفية يحمل نفسه وتلامذته على الجهاد وكان البدر العيني شارح البخاري الفقيه المحدث يغزو سنة ويدرس العلم سنة

ويحج سنة وكان القاضي أسد بن الفرات المالكي أميرًا للبحر في وقته، وكان الإمام الشافعي يرمي عشرة ولا يخطئ.

أهداف الجهاد وغايته

الغاية العليا للمسلم هي إرضاء الله تبارك وتعالى، ثم دخول الجنة ثم إن هناك غايات أخرى في كل عمل، والجهاد يكون إرضاء لله تعالى ثم للفوز بالجنة، ثم لنشر دين الله في الأرض والقضاء على الفساد والطغيان والظلم والاستكبار في كل مكان وزمان.

والجهاد لا يكون إلا في سبيل الله أما غير ذلك فلا يكون جهادًا، إذا فلابد من توافر النية في الجهاد بأن يكون في سبيل الله، وليس للمغنم أو الذكر الحسن أو غير ذلك.

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله، قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) أخرجه الخمسة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال:

يا رسول الله: رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبغي عرضًا من الدنيا فقال: لا أجر له. فأعادها عليه ثلاثًا كل ذلك يقول: لا أجر له.. أخرجه أبو داود.

والجهاد يكون من أجل هداية الناس إلى الإسلام، عن الحارث بن مسلم بن الحارث عن أبيه قال: (بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فلما بلغنا المغار استحثثت فرسي فسبقت أصحابي فتلقاني أهل الحي بالرنين فقلت لهم قولوا لا إله إلا الله تحرزوا فقالوها، فلامني أصحابي وقالوا حرمتنا الغنيمة، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبروه بالذي صنعت فدعاني فحسّن لي ما صنعت، ثم قال لي ألا إن الله قد كتب لك بكل إنسان كذا وكذا من الأجر وقال أما إني سأكتب لك بالوصاية بعدي ففعل وختم عليه ودفعه إليّ) أخرجه أبو داود.

ويقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[النساء : ٧٦].

ويقول الله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾.. [الأنفال: ٣٩].

ويقول أيضًا: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾[البقرة : ١٩٣].

إذن فمن أغراض الجهاد القضاء على الفتنة وجعل الدين كله لله، ومن أغراضه أيضًا الدفاع عن المستضعفين وتخليصهم من أسباب الاستضعاف.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾.... [النساء : ٧٥].

ومن أهداف الجهاد إقامة الحجة على الناس يقول الله تعالى:

﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾.... [الحج:٧٨].

والجهاد واجب على المسلمين ويجب أن يقوموا به في كل مكان على وجه الأرض فهذا عُقبة بن نافع يخوض بفرسه شاطئ المحيط الأطلسي حتى تسيخ قوائم فرسه في مياهه ويقول:

(والله لو أعلم أن خلف هذا البحر أرضًا لذهبت غازيًا في سبيل الله). وربعي بن عامر وحذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبة حينما سألهم رُستم قائد الفرس عن سبب غزوهم لبلادهم سألهم كلا على حدة فكان جوابهم جميعًا (إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعتها..)

وإذا أضفنا إلى تلك النصوص قوله تعالى:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾.. [الحج: ٤١].

وكذا قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.... [القصص : ٨٣].

وقول الإمام علي كرم الله وجهه: (لا تكن عبدًا لغيرك وقد خلقك الله حرًا) ثم قول الفاروق عمر رضي الله عنه: (متى استعبدتهم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا).

وإذا أضفنا تلك النصوص لبعضها ظهرت لنا ملامح منهج كامل لفهم غايات الجهاد وأهدافه فالجهاد في أصله هو الغزو والهجوم على الكافرين في كل مكان وزمان ليس بهدف إكراههم على الإسلام ولكن بهدف تحرير الإنسان ووضعه في موضع الاختيار الحر فيختار ما يشاء من إسلام دون إكراه.

ولكن ما دام الأمر كذلك، فلماذا يحرص الإسلام على الغزو والهجوم على الكافرين والرد على ذلك بسيط للغاية وهو أن النظم الكافرة نظم طاغوتية في جوهرها تُكره الناس على الكفر أو عبادة الحكام أو تقييم علاقات سياسية واقتصادية واجتماعية ظالمة ينبغي على المسلمين القضاء عليها لأن تلك العلاقات تحول بين الإنسان وبين حرية الاختيار، وصحيح أنه بمجرد تحقيق الاختيار الحر للإنسان فإنه يختار في الغالب الإسلام، إلا أن ذلك يحدث لسبب بسيط هو أن الإسلام دين الفطرة.. وبكلمة أخرى فإن الإنسان خُلق على فطرة الإسلام، كما أن الكون والإنسان نفسه يحتوي على الكثير من الآيات التي تقود الإنسان حتمًا إلى الإيمان بالله وإلى اعتناق الإسلام دينًا وذلك إذا كان هذا الإنسان غير خاضع لأي شكل من أشكال القهر والظلم.

ولأن القوى الشيطانية الطاغوتية تعرف ذلك فإنها تقيم من الأنظمة والعلاقات والقوانين ما يحول دون ذلك فهي تُقيم نظمًا سياسية استبدادية تقهر الناس ولا

تعطيهم حرية التفكير والحوار، وهي تُقيم نظمًا سياسية استبدادية تقهر الناس ولا تعطيهم حرية التفكير والحوار، وهي تُقيم نظمًا اقتصادية واجتماعية ظالمة بحيث تجعل الإنسان غير حر في اختياره تحت ضغط القهر الاقتصادي والاجتماعي، وهي تُقيم علاقات اجتماعية شاذة وكذا تقدم إعلامًا ودعاية فاسدة وتُشيع الفساد الأخلاقي وكذلك ذلك من أجل ألا تسمح للإنسان بالاختيار الحر، أو التعامل وفق الفطرة، أو التدبر في آيات الكون والنفس.

ومهمة وهدف الجهاد وغايته هنا هو القضاء على كل هذه الأنظمة والعلاقات الظالمة ووضع الإنسان على طريق الاختيار الحر بلا قهر أو إكراه، وهنا نفهم قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ لأن النظم والعلاقات والقوانين الطاغوتية بما تمثله من استبداد سياسي أو ظلم اقتصادي واجتماعي أو إعلام منحرف وموجه أو علاقات أخلاقية منحطة أو ولاء اجتماعي شاذ إنما هي نوع من الفتنة للإنسان، أما قوله: ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ فهذا أمر يتحقق تلقائيًا لأن الإنسان إذا ما ارتفع عنه سيف القهر والظلم والتوجه الإعلامي الفاسد والولاءات الاجتماعية الضيقة أي إذا ما تحققت له حرية الاختيار فبديهي أنه يختار الفطرة أي يختار الإسلام فيكون الدين كله لله، وهذا يؤكد قول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ أي بعد تحقيق هدف الجهاد من إزالة كل المعوقات التي تحول بين الإنسان وبين الاختيار فإن الرشد تبين من الغي وليس هناك إكراه وليختر كل إنسان ما شاء من دين.

إذن فهدف الجهاد هو تحرير الإنسان.. تحريره من فتنة القهر السياسي والظلم الاقتصادي والولاء الاجتماعي الضيق، إذن فهو للقضاء على الفتنة ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ وهو لرفع أسباب الاستضعاف عن المستضعفين ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾ وهو إذن لإقامة الحجة على الناس بجعلهم في موقف الاختيار الحر ﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾.... [الحج: ٧٨].

وهو إذن لإخراج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعتها..) كما قال ربعي بن عامر ورفيقاه لرستم قائد الفرس.

وهو لتحقيق العدل في الأرض والقضاء على الفساد فيها ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وهو لإقامة نظام يسود فيه المعروف ويمتنع فيه المنكر:

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾.

وهو ليس للمغنم بل للهداية وهو لاستعادة الإنسان لحريته التي خلقه الله عليها (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا) كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكذلك قول الإمام علي كرم الله وجهه: (لا تكن عبدًا لغيرك وقد خلقك الله حرًا).

وهو في النهاية لتحقيق حرية الاختيار ومنع ورفع الإكراه عن الناس.

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ .

ومن خلال كل هذا فإن الجهاد في أصله، وكما وضحت الآيات والأحاديث وأقوال العلماء هو حالة هجوم وغزو مستمر على الكفار لتحقيق التحرير الكامل للإنسان من كل قهر وظلم ووضعه على طريق الاختيار الحر وهكذا نفهم قول عُقبة ابن نافع (والله لو أعلم أن خلف هذا البحر أرضًا لذهبت غازيًا في سبيل الله).

وإذا كان هدف الجهاد في الأصل هو الغزو والهجوم، فما هو الشأن في حالة تعرض بلاد المسلمين لاحتلال من قبل الكفار مثلاً وبالتالي تحتاج للدفاع والذود عنها هل يدخل الدفاع هنا في باب الجهاد؟

والإجابة نعم بكل تأكيد لأن الدفاع عن أرض المسلمين هنا يشمل الحفاظ على أرض تتحقق فيها حرية الاختيار أولاً وهو محافظة على قاعدة للغزو والهجوم

لتحقيق حرية الاختيار للآخرين ثانيًا، وبالتالي فهو جهاد، إلا أنه في هذا الحالة يكون فرض عين على كل مسلم ومسلمة لأن الحفاظ على الأرض المحررة من الوقوع في أيدي المشركين والكفار المستبدين والظالمين أوجب وأكثر أهمية بالطبع، وبالتالي فكل حركة تحرر وطني في بلاد المسلمين ضد الاستعمار المباشر أو غير المباشر هي في سبيل الله ما دامت النية المعقودة للمقاتلين هي الجهاد في سبيل الله للحفاظ على أرض إسلامية ليس فيها إكراه بل هي قاعدة للانطلاق لرفع الإكراه والظلم والقهر من فوق الأراضي الأخرى.

ومما يؤكد هذا المفهوم أن الشريعة الإسلامية حددت ثلاثة خيارات أمام المشركين إذا ما غزاهم المسلمون فإما الإسلام وإما الجزية وإما القتال، والجزية هي الانصياع والقبول بحرية الدعوة في الأراضي التي تقبل دفع الجزية وبالتالي تحقيق حرية التفكير وحرية الاختيار فيها، فأما إذا رفضت دفع الجزية فإن معنى ذلك استمرارها في منع حرية الدعوة وبالتالي وجب قتالها لتحقيق حرية الدعوة وحرية الاختيار بدون إكراه، ولو كان الأمر مجرد إكراه الناس على الإسلام مثلاً لاقتصر الأمر على الإسلام أو القتال فقط، ولكن

اشتمال الخيارات على الجزية يؤكد المفهوم الإسلامي الصحيح في الجهاد وهو تحقيق حرية الاختيار للبشر ليختاروا ما شاءوا من دين وعقيدة، وبديهية أن معظمهم يختار الإسلام طواعية لأن الإسلام دين الفطرة فإذا ما اختاروا الإسلام أصبحوا جزءًا من كيانه الحضاري وكان عليهم الجهاد هم أيضًا من أجل تحقيق نفس الهدف ولأن الأمر كذلك فإن الإسلام لا يفرق بين الأبي والأحمر والأسود ولا يعترف بقومية أعلى من قومية أخرى أو جنس أعلى من جنس آخر بل الجميع سواء كأسنان المشط ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى بل إن الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة التي شهدت قوادًا وولاة وزعماء وخلفاء من عرب وترك وفرس وأبيض وأسود وأحمر هوي أيضًا الحضارة الوحيدة التي تغلبت على العالم كله بالسيف والقوة في وقت من الأوقات ومع ذلك لم تفرض على الجميع دينها بل بقى داخل البلدان الإسلامية المسيحي واليهودي والمجوسي دون خوف من بطش أو

إكراه. وهذا دليل قوي على أن الإسلام فرض الجهاد لتحقيق التحرير وحرية الاختيار وليس إكراه الناس على الدخول في الإسلام بالسيف وسيظل الجهاد إن شاء الله تعالى هجومًا وغزوًا في أصله لتحقيق حرية الاختيار والقضاء على عوامل الفتنة والإكراه والفساد ولن يفلح المشككون في تفسيره وتزييفه على غير هذا الوجه حتى ولو كانت أمور المسلمين حاليًا لا تسمح بذلك.

وإذا كنا الآن نعاني من التفوق والتشرذم، والوقوع في الهيمنة الغربية فإننا مطالبون أولاً بالجهاد لحماية بلادنا ووحدتنا ثم مطالبون بعد ذلك باستكمال رسالتنا في تحرير الإنسان في أي مكان وزمان على الأرض أو حتى على الكواكب الأخرى إن وجدت فيها حياة عاقلة.

النبي المجاهد ﷺ

أولى النبي ﷺ الجهاد اهتمامًا كبيرًا، بل نكاد نرى أن الجهاد كان الشاغل الأكبر للرسول ﷺ خاصة بعد هجرته إلى المدينة وحتى موته، وكان اهتمام الرسول ﷺ بالجهاد يشمل التعبئة المستمرة للمسلمين وجعلهم في حالة يقظة مستمرة، وترغيبهم في الاستشهاد والاهتمام بتوحيد صفوفهم والقضاء أولاً بأول على المؤامرات التي يدبرها المنافقون لشق الصف الإسلامي، وكذلك في شراء السلاح والخيل وغيرها، وكذلك في إرسال السرايا الصغيرة والجيوش الكبيرة بصورة مستمرة لم تنقطع أبدًا إلى كل مكان في الجزيرة العربية بل وخارج الجزيرة العربية، بل وحتى في غيبوبة مرض الموت كان الرسول ﷺ كلما أفاق سأل عن جيش أسامة بن زيد هل تم خروجه أم لا..

وإذا ما تتبعنا المعارك والغزوات والسرايا المشهورة في العشر سنوات التي قضاها في المدينة نجدها من الكثرة والتنوع بحيث إنها غطت كل تلك المساحة الزمنية وغطت أيضًا كل مكان في الجزيرة العربية وفي خارج الجزيرة العربية في الشام والعراق، ونلاحظ أنها كلها كانت خارج المدينة المنورة ما عدا غزوة الخندق مما يدل على أن الأصل في الجهاد هو الغزو والخروج وليس الدفاع.

كان الرسول ﷺ قد أخذ البيعة من ممثلي المدينة المنورة على الحرب في بيعة العقبة الثانية وهذه البيعة تسمى بيعة الحرب أيضًا، أي أنه كان يعد العدة للجهاد والحرب حتى قبل أن يدخل المدينة ويقيم فيها المجتمع الإسلامي الأول.

ولقد بدأت السرايا والغزوات والمعارك بعد اثني عشر شهرًا فقط من هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، وقد قضى الرسول تلك الشهور في إعداد المجتمع الإسلامي في المدينة لما ينتظره من الجهاد والغزو والقتال وكانت أول الغزوات هي غزوة (الأبواء) على رأس اثني عشر شهرًا من مقدمه إلى المدينة ثم تتالت الغزوات والسرايا والمعارك ونذكر منها سرية عبيدة بن الحارث، ثم سرية حمزة إلى سيف البحر ثم غزوة بواط ثم غزوة العشيرة ثم سرية سعد بن أبي وقاص ثم غزوة سنوان وهي غزوة بدر الأولى ثم سرية عبد الله بن جحش ثم غزوة بدر الكبرى ثم غزوة بني سليم بالكدر ثم غزوة السويق ثم غزوة ذي أمر ثم غزوة الفرع من بحران ثم غزوة بني قينقاع ثم سرية زيد بن حارثة إلى القردة منمياه نجد، ثم غزوة أحد ثم غزوة حمراء الأسد ثم يوم الرجيع ثم غزوة بئر مؤنة ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع ثم غزوة بدر الآخرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة، ثم غزوة بني لحيان ثم غزوة ذي قرد ثم غزوة بني المصطلق ثم الخروج إلى الحديبية ثم غزوة خيبر ثم غزوة مؤتة إلى الشام ثم فتح مكة ثم معركة حنين ثم غزوة تبوك لغزو الروم ثم سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة ثم غزوة خالد بن الوليد إلى بني الحارث ثم بعث أسامة إلى أرض فلسطين.

وهكذا فإن المسلمين في حياة الرسول لم ينقطعوا قط عن الغزو والقتال والسرايا والبعوث، بل نكاد نقول إنه لم يمر يوم على المسلمين منذ العام الثاني للهجرة ولم يكونوا أو بعضهم في سرية أو غزوة أو معركة كبرى مع قوى الشرك أو الكفر داخل الجزيرة العربية وخارجها.

ولعله من المفيد هنا أن نذكر أمثلة من شجاعة الرسول ﷺ النادرة أو كفاءته القتالية الفذة وخاصة في اللحظات الحرجة من المعارك مثل معركة أحد ومعركة حنين.

ففي معركة أحد، وعندما مال الميزان العسكري لصالح قريش وكاد المسلمون ينهزمون هزيمة منكرة، كان للموقف الشجاع والقتال الباسل الذي قام به الرسول ﷺ أبلغ الأثر في تقليل حجم الهزيمة وتحقيق التماسك لجيش المسلمين، ذلك أن الرسول ﷺ كان في مفرزة صغيرة من المقاتلين المسلمين (حوالي تسعة) عندما وجد فرسان قريش قيادة خالد بن الوليد قد طوقت جيش المسلمين من الخف بعد أن تخلى الرماة المسلمون عن مواقعهم التي كان الرسول ﷺ قد أمرهم بعدم تركها مهما كان المر وكان معنى هذا أن الجيش الإسلامي في خطر شديد، وكان أمام الرسول ﷺ طريقان فإما أن ينجو وأصحابه التسعة إلى ملجأ مأمون، وإما أن يثبت في مكانه وينادي المسلمين ليلتفوا حوله، وفي ذلك بالطبع خطر على حياته لأن المشركين سيسمعون صوته ويصلون إليه قبل أن يصل إليه المسلمون واختار الرسول ﷺ بالطبع الطريق الثاني ووقف في مكانه، ونادى على المسلمين والتف المشركون حوله؛ فأخذ الرسول ومن معه يقاتلون قتالاً شديدًا تبدت فيه روح التفاني والتضحية والشجاعة من هؤلاء النفر من الصحابة وتبدت فيه شجاعة الرسول ﷺ وكفاءته القتالية العالية، واستمر ضغط المشركين على الرسول ومن معه ولكن هذا لم يزد الرسول ومن معه إلا شجاعة وتضحية واستمر الرسول يقاتل ومن معه قتال الأبطال حتى استطاع أن يشق في النهاية طريقًا بين المشركين ويلتحم بجيش المسلمين فيعرف المسلمون أنه مازال حيًا وترتفع روحهم المعنوية، ويتحقق التماسك والانسحاب المنظم للجيش الإسلامي ولولا ذلك الموقف من الرسول ﷺ ومن معه لتبدد جيش المسلمين ولكانت الهزيمة مروعة.

وفي موقعة حنين وحينما اندفع جيش هوازق وباغت المسلمين وفقد جيش المسلمين توازنه ولاذ الجميع بالفرار ما دعا رسول ﷺ وعددًا قليلاً من أصحابه وكانوا بضعة عشر رجلاً، ووقف الرسول شامخًا كالطود صامدًا كالجبال يقاتل ومن معه، الألوف من الرجال، وينادي على المسلمين الذين تفرقوا في كل اتجاه يا أصحاب سورة البقرة يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة حتى تجمع جيش المسلمين من جديد حول النبي الذي كان يقاتل وهو يصيح:

«أنا النبي لا كذب، أنا بن عبد المطلب».

واستمر تجمع المسلمين حول الرسول الصامد حتى استطاع جيش المسلمين أن يهزم الكافرين هزيمة منكرة، وهكذا استطاع الرسول بشجاعته وفدائيته أن يحول الهزيمة والفرار إلى نصر كبير، وإذا تركنا هذه المواقف لنلمح موقفًا آخرًا في معركة الخندق، نرى أن الرسول ﷺ كان يشارك المسلمين في العمل وكان يشاركهم في الجوع ولا ينفرد عنهم بطعام أو شراب، قال أبو طلحة شكونا إلى رسول ﷺ الجوع فرفعنا عن بطوننا عن حجر فرفع رسول ﷺ عن حجرين) رواه البخاري.

جدلية الجهاد

الوعي – التقوى – النهضة

إذا تأملنا قول الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الغزو والهجوم لإعلاء كلمة الله، وبين وعد الله تعالى لهؤلاء المجاهدين بأن يهديهم سبله، أن يهديهم إلى الوعي والتقوى والنهضة والفوز في الدنيا والآخرة.

ويمكننا أن نقول إن هناك علاقة جدلية بين الجهاد والوعي، فالجهاد في سبيل الله يفجر الوعي، والوعي يؤدي إلى اختيار طريق الجهاد، فمن أراد امتلاك الوعي فليجاهد ومن أراد أن يجاهد فليمتلك الوعي، فالجهاد نوع من الاحتكاك بقوة مع الآخرين، ويمكن للإنسان أن يكشف الكثير من الحقائق والسنن من خلال الاحتكاك والغزو والهجوم، لأنه أولاً سفر في الأرض وهو ثانيًا احتكاك بأناس آخرين وهذا طريق لا شك فيه للوعي، ثم هو طاعة لله وهذا طريق لأنه يفتح الله على المجاهد أسباب الفهم والوعي ودقة التحليل وشمولية المعرفة ثم إن حاجات المجاهد تستدعي الحاجة إلى الاختراع والابتكار ومن المعروف أن الحروب كانت سببًا في كثير من المخترعات العلمية وهناك أيضًا علاقة جدلية بين الجهاد والتقوى، لأن الجهاد تحقيق لأمر الله وهذا أول نوع من التقوى، ثم أنه يضع النفس والمال في محك خطير، فالإنسان الذي هو مستعد للتضحية بالنفس والمال ومعرض للموت

في أي لحظة يشتد خوفه من الله وحبه لدينه وهذا يزيد حرصه على طاعة الله تعالى والإقلاع عن المعصية.

ثم إن الإقلاع عن المعصية والإكثار من الطاعات تعين الإنسان على قهر نفسه وعدم التردد في الخروج للجهاد ودفع المال في سبيل الله وكذا الشجاعة في المواجهة وحب الموت وعدم الجبن وبالتالي فالتقوى طريق إلى الجهاد.

ثم إن التقوى ذاتها تؤدي إلى الوعي والعلم والمعرفة، وليس أدل على ذلك من شكوى الإمام الشافعي لمعلمه سواء الحفظ ونصحه المعلم بترك المعاصي إذا أراد أن يتخلص من سوء الحفظ وهي حكاية مشهورة عن الإمام الشافعي. والجهاد طريق إلى النهضة والحضارة والتقدم العلمي والعملي، لأن الجهاد أولاً يحقق للإنسان التوازن النفسي، لأنه يكون في حالة انسجام مع الله تعالى ومطيعًا لفروضه وهذا التوازن النفسي شرط ضروري من شروط النهضة، والجهاد ثانيًا طريق لزيادة رقعة الإسلام الجغرافية والسكانية أي زيادة المعطيات الحضارية كمًا وكيفًا وهذا طريق للنهضة والحضارة أيضًا، والجهاد كما قلنا طريق للوعي والعلم والخبرة والمعرفة وهذا أيضًا شرط من شروط النهضة، والجهاد هو أحد أشكال الطاعة والتقوى وهو يزيد من قوة وكثافة التقوى التي تدفع الإنسان للعمل الجاد على كل مستوى وهو أيضًا شرط من شروط النهضة.

إذن فالجهاد طريق إلى النهضة والحضارة، وإذا تتبعنا المنحنى الحضاري الإسلامي في كل مستوياته العلمية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وجدنا أن الأمة كانت دائمًا في حالة صعود حضاري طالما كانت في حالة غزو وهجوم وأنها بدأت في طريق الانحطاط الحضاري عندما تخت عن واجب الغزو والهجوم واكتفت بالدفاع ثم انهارت حضاريًا على كل مستوى عندما تخت عن الدفاع أيضًا وبالتالي فإنه لتحقيق النهضة فإن الجهاد شرط أساسي من شروطها ومن الأمثلة الفريدة في هذا المضمار مثلاً أن المقاومة الشعبية الإسلامية في مصر عندما دخلت في جهاد مع الفرنسيين إبان الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨/ ١٨٠١ استطاعت أن تصنع المدافع والبارود خلال ثورة القاهرة الثانية، أي أن الثورة فجرت ثورة صناعية

وتقدمًا تكنولوجيًا، وهذا دليل على أن الجهاد طريق إلى الثورة الصناعية وطريق إلى النهضة عمومًا.

والتخلي عن الجهاد هو طريق إلى الانحطاط والذل والتراجع الحضاري وهذا حالنا يثبت ذلك، فكلما تخلينا عن الجهاد وقعدنا عنه نتخلف حضاريًا وسياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وعسكريًا بل ونصبح أذلاء مستضعفين تجاه الهيمنة الأوروبية والأمريكية – وخاضعين لنفوذهم السياسي والعسكري والاقتصادي فضلاً عن الثقافي.

وعلينا الآن أن نتأمل حديث رسول الله ﷺ الذي يقول:

(إذا تبايعتم بالنسيئة وأخذتهم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم) رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم.

وهذا الحديث واضح الدلالة في أن ترك الجهاد يورث الذل أي يورث الخضوع للآخرين، ويورث الانهيار الحضاري في كل مستوياته، لن كلمة الذل شاملة تعني الانحطاط السياسي والاقتصادي والعسكري والحضاري، وأن الطريق إلى نزع هذا الذل أي لتحقيق النهضة والاستقلال والإبداع الحضاري هو القيام بواجب الجهاد.

إذن فالجهاد هو أحد أهم شروط النهضة، لأن الجهاد يرفع مستوى التقوى والوعي والمعرفة وبديهي أن المجاهد شخص إيجابي، والتقى شخص حريص على أداء عمله بإتقان وأمانة وكلها شروط لازمة للنهضة.

إذن فهناك علاقة جدلية بين الجهاد، والوعي، والتقوى، والنهضة، وكلها أمور شديدة الارتباط ببعضها البعض، وخلاصة القول أن المسلم لا يكون في حالة إبداع حضاري إلا إذا كان قائمًا بواجب الجهاد، بل إن الأمة الإسلامية لم تتقدم حضاريًا ولم تحقق حضارتها ونهضتها الشامخة إلا في عصور ازدهار الجهاد والغزو والقتال في سبيل الله والعكس صحيح تمامًا.

وعلينا أن نتأمل الآية القرآنية التي تقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ

وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.....[البقرة: ٢١٦)

وهذه الآية تقول إن الجهاد خير، ولا شك في ذلك فهو خير على المستوى الشخصي، لأن المجاهد يحقق رضا الله تعالى ثم يحقق دخول الجنة ثم يحقق لنفسه التوازن النفسي والإيجابية والتقوى والوعي والغنائم، وعلى المستوى الجماعي فإن الجهاد يحقق العزة والنصر والتقدم الحضاري والسيادة والنهضة.

الجهاد ماض إلى يوم القيامة

منذ أن ظهر الإسلام وحتى اليوم وإلى أن تقوم الساعة سيظل الجهاد ماضيًا، مصداقًا لما جاء في الحديث (الجهاد ماض إلى يوم القيامة.)

ولعل هذه النبوءة النبوية تبطل دعوى هؤلاء الذين يريدون أن يحذفوا سلوك الجهاد بل وكلمة الجهاد من القاموس السياسي أو الشرعي لأمتنا، لأنه سواء حذفوها أو لم يحذفوها وسواء جاهدوا أو قعدوا فإن الجهاد سيمضي إلى يوم القيامة بهم أو بغيرهم.

وفي الحقيقة فإن الجهاد والقتال سمة لازمة، لازمت الأمة الإسلامية في حياة النبي ﷺ وفي حياة الخلفاء الراشدين ثم إبان الخلافة الأموية والعباسية ثم العثمانية وحتى بعد سقوط الخلافة الإسلامية استمر الجهاد على يد الزعماء المجاهدين الذين قادوا حركات التحرر الوطني الإسلامي ضد الاستعمار وسيظل الجهاد ماضيًا إلى يوم القيام إن شاء الله لأن الأرض لم ولن تخلو من المسلمين المتمسكين بفروض الدين وكذلك لم ولن تخلو من أتباع الشيطان من الكفار والمشركين وبالتالي سيظل الصراع بين الحق والباطل ما بقيت الدنيا، وحتى لو أسلمت الكرة الأرضية كلها فإن علينا أن نجاهد ف يغيرها ولا نتوقف عن الجهاد أبدًا لأن الجهاد سنة من سنن الكون الثابتة التي تفسد الحياة بدونها ويهتز نظام الكون إذا تعطلت. وإذا كانت المعارك والغزوات والسرايا في حياة الرسول ﷺ كثيرة ومتنوعة فإن تلك المعارك لم تنته بل استمرت بعده، فقد خاض المسلمون في حياة الخلفاء الراشدين المعارك ضد

المرتدين ثم ضد الفرس والروم وتم فتح العراق والشام ومصر وغيرها. وحتى بعد انتهاء الخلافة الراشدة استمر المسلمون يغزون في سبيل الله ويقاتلون لنشر دين الله في كل الأرض في إفريقيا والهند والصين ومع الدولة البيزنطية حتى وصل الإسلام إلى الأندلس غربًا وإلى الصين والهند وإيران وأفغانستان وإندونيسيا وسيبيريا وغيرها شمالاً وشرقًا ثم خاض المسلمون المعارك ضد الحملات الصليبية والتترية في الشرق وضد أوروبا في الشمال والغرب، بل إن الحملات الصليبية على المغرب العربي استمرت قبل فتح الأندلس وأثناء الحكم الإسلامي للأندلس وبعد انتهاء الحكم الإسلامي للأندلس حتى لقد سماها المؤرخون حرب الألف عام، وحتى بعد سقوط الخلافة العباسية ظهرت الخلافة العثمانية التي خاضت المعارك من أجل نشر الإسلام في أوروبا فوصلت إلى أسوار فيينا وروما فضلاً عن فتح القسطنطينية، وبعد سقوط الخلافة العثمانية وقبل سقوطها بقليل أي في أيامها الأخيرة، تعرضت بلاد العالم الإسلامي للاحتلال على يد أوروبا الصليبية، ولكن المسلمين الذين فقدوا الخلافة وأصبحوا ممزقين لم يكفوا عن الجهاد وانخرطوا في عمليات المقاومة الإسلامية المسلحة ضد الاحتلال الأوروبي في كل مكان من العالم الإسلامي، ومازال المسلمون القابضون على دينهم يجاهدون حتى اليوم ضد الاحتلال الصهيوني لفلسطين وضد الهيمنة الأمريكية والأوروبية، وما زالت الأقليات الإسلامية في أكثر من مكان بالعالم تقاتل من أجل حقوقها المهضومة وسيظل الجهاد إن شاء الله ماضيًا إلى يوم القيامة.

طريق التهلكة وطريق النجاة

الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر

في محاولة قديمة جديدة، يحاول المشككون والذين في قلوبهم مرض أن يثيروا عددًا من الشبهات حول الجهاد بهدف صرف المسلمين عنه أو تفسيره تفسيرًا ناقصًا يقلل من فاعليته.

وهناك العديد من الشبهات في هذا الإطار ولكنها شبهات ضعيفة لا تصمد أمام الحجة القرآنية والنبوية الواضحة وإجماع العلماء فيقولون مثلاً: إن الإسلام دين

دفاعي على عكس كل النصوص التي تؤكد أن الأصل في الجهاد هو الغزو وهو في هذه الحالة فرض كفاية وأن الاستثناء هو الدفاع ويصبح الجهاد في هذه الحالة فرض عين للدفاع عن أرض المسلمين وحماية مصالحهم الاستراتيجية.

وفي هذا الإطار ذات يقول بعض المشككين تفسيرًا لقوله تعالى:

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ إنها دعوة للتعقل والاعتدال والانضباط وغيرها وأن الجهاد يؤدي إلى إهمال الزراعة والصناعة وضياع المال وغيرها وفي الحقيقة فإن هؤلاء إما أنهم لم يقرأوا الآية بكاملها وإما أنهم لم يطلعوا على تفسيرها الصحيح وإما أنهم مرضى بقلوبهم والعياذ بالله فالآية القرآنية تقول: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة : ١٩٥] وبالتالي فلا علاقة لهذه الآية بمسألة التعقل أو غيرها، ومعناها الصحيح أن الإنفاق في سبيل الله هو الطريق لتجنب التهلكة لأن هذا الإنفاق يؤدي إلى توفير حاجات المجاهدين من المؤن والمعدات وبالتالي يجعل المسلمين في حالة قوة تحول دون هلاكهم على يد عدوهم، ولعل ما رواه الترمذي في هذا الصدد يؤكد هذا المعنى ويقطع دابر المشككين وأصحاب الشبهات.

(عن أبي عمران قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفًا عظيمًا من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم وأكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة ابن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل بينهم فصاح الناس وقالوا سبحان الله يلقي بيده إلى التهلكة فقام أبو أيوب الأنصاري فقال:

(أيها الناس أنتم تأولون هذه الآية هذا التأويل وإنما نزلت فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سرًا دون رسول الله ﷺ إن أموالنا قد ضاعت وإن الله تعالى أعز الإسلام، وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى على نبيه ما يرد علينا ما قلناه ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وتركنا الغزو.. فما زال أبو أيوب شاخصًا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم) رواه الترمذي.

إذن فالتهلكة هي ترك الغزو.

وعلى أي حال فإن هناك الكثير من الآثار التي تحبب إنفاق الأموال في سبيل إعداد العدة للجهاد، بل وتجعل الجهاد بالمال كالجهاد بالنفس بل دائمًا ما تتقدم كلمة الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في النصوص القرآنية مثل قوله تعالى:

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [التوبة: ٨٨].

وفي الحديث الشريف (من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيًا في سبيل الله بخير فقد غزا) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

وكذلك قوله ﷺ: «من أنفق نفقة في سبيل الله تعالى كتبت له بسبعمائة ضعف» رواه الترمذي والنسائي.

ومن الشبهات التي يثيرها المشككون ومرضى القلوب في محاولة للتقليل من قيمة الجهاد وصرف المسلمين عنه استدلالهم بما يروي:

(رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر قال جهاد القلب أو جهاد النفس) على أن هناك جهادًا أكبر وهو جهاد النفس وأنه أفضل من الجهاد الأصغر وهو قتال الكفار والمشركين لإعلاء كلمة الله تعالى، ويرى الكثير من العلماء: أن هذه الرواية ليس بحديث على الصحيح، قال أمير المؤمنين في الحديث الحفاظ ابن حجر في تسديد القوس هو مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم بن عيلة، وقال العراقي في تخريج أحاديث الأحياء) رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر.

وحتى لو صح هذا القول في أنه حديث عن رسول الله ﷺ فيجب أن يفهم في إطار باقي النصوص القرآنية والنبوية وفي إطار الظروف التي قيل فيها. ونرى والله أعلم أنه لو صح لكان معناه التعبئة المستمرة وإخضاع النفس للتدريب والاستعداد واليقظة الدائمة وشحذها بالعمل الصالح حتى إذا دعا داعي الجهاد لم تتأخر النفس عن التلبية والخروج للقتال في سبيل الله تعالى إذن لو صح هذا القول ولو صحت تلك الرواية لكان معنى الجهاد الأكبر هو التعبئة النفسية والمعنوية والإيمانية والجسدية

وتكون هناك حالة استعداد دائم للخروج للقتال في سبيل الله وعدم التأخر لحظة واحدة وعدم التردد في ذلك، وبديهي أن جهاد النفس يجعلها مستعدة للموت في سبيل الله، أما إذا ركن البعض للقعود بدعوى الاهتمام بجهاد نفسه فإنه يكون كاذبًا لأنه لو جاهد نفسه حقيقة لكانت سريعة الاستجابة للخروج للقتال في أية لحظة وخلاصة القول أنه لو صحت تلك الرواية فان الجهاد الأكبر يعني التعبئة لأن التعبئة والاستعداد للقتال واستمرار اليقظة أصعب طبعًا من القتال ذاته.

ويجب أن نذكر هنا أن هناك أمورًا تلحق بباب الجهاد منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقول الرسول ﷺ: «إن من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» ولكننا نرى أنها من الملحقات وليس من أصل معنى الجهاد، لأن كل النصوص والآثار تدل على أن الجهاد هو قتال الكفار والمشركين، وأنه لا شيء يوجب لصاحبه الشهادة الكبرى وثواب المجاهدين إلا أن يقتل ويقتل في سبيل الله.

أعداؤنا.. اليوم وغدًا

الجهاد في أصله الشرعي هو قتال وغزو الكفار والمشركين في كل زمان ومكان على الأرض، أو حتى في الكواكب الأخرى إن كان فيها حياة عاقلة، وذلك بهدف القضاء على علاقات الاستكبار التي تحول بين الناس وبين حرية الاختيار، فالجهاد في أصله هجوم وهو في هذه الحالة فرض كفاية إذا فالواجب الشرعي على المسلمين أن يقاتلوا الملحدين، الوثنيين، والنصارى المحاربين، اليهود المحاربين والموالين لأحد هؤلاء أولهم جميعًا.

وبالطبع إذا أمكن قتال هؤلاء جميعًا والقيام بواجب الجهاد ضدهم فهذا أمر حسن أما إذا كانت ظروف المسلمين لا تسمح بذلك، مثل الحالة التي نحن فيها الآن، فإنه يجب قتال الكفار والمشركين الذين يحتلون بلاد المسلمين مثلاً أو الذين يتدخلون في شئونهم.

وإذا نظرنا إلى أوضاع العالم حاليًا، وجدنا أن هناك كفارًا ومشركين وملحدين ووثنيين ونصارى ويهود وغيرهم يحاربون الإسلام والمسلمين ويفسدون في

الأرض، وهؤلاء جميعًا يجب قتالهم ولكننا نجد في الوقت نفسه أن العدو المباشر للمسلمين هم اليهود ومن يحميهم ويساعدهم على قتال المسلمين من النصارى فاليهود يحتلون بعض المسلمين، من البلاد المقدسة والمباركة وهي فلسطين، ويسعوا للمزيد من احتلال الأراضي داخل فلسطين وخارجها أيضًا ويتآمرون على الشعوب الإسلامية بهدف استمرار تخلفها وتفككها وخضوعها للأنظمة المستبدة، ولذا فإن أول الأعداء الذين ينبغي علينا جهادهم الآن هم اليهود، وجهاد اليهود اليوم وغدًا واجب شرعي وفرض عين على كل مسلم ومسلمة، لأنهم يحتلون بلاد المسلمين ولأنهم يتآمرون على الإسلام والحضارة الإسلامية، وفي الحقيقة فإن اليهود هم أعدى أعداء المسلمين فالقرآن الكريم يقول: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[المائدة: ٨٢].

ولقد خاض الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم جميعًا المعارك الطاحنة ضد اليهود في بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع وخيبر وغيرها حتى استطاع أن يستأصل شأفتهم ويبدد شملهم وظل اليهود في حالة من الضعف والتشرذم منذ ذلك اليوم إلى أن ظهروا مرة أخرى في بداية هذا القرن ليصبحوا مرة أخرى كيانًا فاشيًا يشكل أكبر الخطر على المسلمين بل ويحتل أجزاء من بلادهم ولذلك وجب قتالهم.

والقرآن الكريم قد تنبأ بهذا الأمر – وهو وقوع القتال بين المسلمين واليهود قبل قيام الساعة، حيث يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٤-٨].

وفي الحديث الشريف: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من

شجر اليهود».. رواه مسلم واحمد.

إذن فاليهود بنص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هم أعداء اليوم وغدًا، وواجب علينا قتالهم والجهاد ضدهم، وكل من يرى غير ذلك فإنما هو يخالف الآيات القرآنية الصريحة والأحاديث النبوية الصحيحة يخالف الواقع، لأن دعوة السلام المزعومة مع الكيان الصهيوني دعوة مشبوهة فكيف يقوم سلام مع قوم احتلوا أرضنا وداسوا على مقدساتنا اللهم إلا إذا تخلينا عن ديننا ورفضنا تنفيذ آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية المطهرة والعياذ بالله.

وأعداؤنا المباشرون اليوم وغدا أيضا هم الغرب الصليبي الاستعماري وهم الأعداء الذين لم تنقطع المعارك معهم منذ فجر الإسلام بدءًا من سرية مؤتة وغزوة تبوك وبعث أسامة بن زيد في حياة النبي وقبل وفاته، ثم في اليرموك وغيرها في حياة الخلفاء الراشدين، ثم من أجل تحرير الشام وشمال إفريقيا والأندلس في عهد الدولة الأموية ثم استمر هذا الصراع في عهد الدولة العباسية في الأندلس والشام وشمال إفريقيا وعلى مشارف أوربا، بدءًا من ذلك وحتى الحملات الصليبية على الشرق العربي كله ١٠٩٥/ ١٢٩٨ وإلى اليوم، وقبل ذلك وأثناء ذلك وبعد ذلك كان هناك صراع بين الأمة الإسلامية وبين الغرب الصليبي في المغرب العربي وخاصة الجزائر لمدة ألف عام متصلة ولقد أطلق عليها مؤرخو المغرب العربي حرب الألف عام، وكذلك في ذلك الصراع الطويل الذي خاضته الدولة العثمانية دفاعًا عن بلاد الإسلام ونشرًا للإسلام في أوربا حتى فتحت القسطنطينية ١٤٥٣ على يد محمد الفاتح وحتى وصلت جيوش المسلمين من الأتراك إلى أسوار فيينا وروما.

وعقب سقوط الدول العثمانية وكذلك في أيام ضعفها استمر ذلك الصراع من خلال هجوم استعماري صليبي على معظم أقطار العالم الإسلامي حتى سقط في قبضة الاستعمار الأوربي الصليبي، وقام المجاهدون بدور مهم في الدفاع عن بلاد الإسلام، وإذكاء نار المقاومة المسلحة التي لم تنقطع ضد الاستعمار في كل مكان ونذكر من هؤلاء:

عبد القادر الجزائري، عبد الكريم الخطابي، الشيخ الثعلبي في تونس وغيرهم كثير في إندونيسيا والعراق والشام ومصر وإفريقيا بل وحتى في بلاد التركستان والقوقاز وغيرها.

ومع بداية القرن العشرين حدث تحالف بين اليهود وبين أوربا الصليبية أسفر عن دعم صليبي غربي كامل لقيام إسرائيل وتسليحها ودعمها بالمال والمهاجرين والتأييد الدولي ومازال هذا التحالف قائماً حتى يومنا هذا.

وحتى بعد رحيل الاستعمار الصليبي القديم، ما زالت أوربا تمارس نفس الغزو لنا سواء بجيوشها المنتشرة في كثير من بقاع العالم الإسلامي تحت مسميات عديدة أو من خلال إرساليات التبشير أو من خلال فرض التخلف والتفرقة علينا وعدم السماح لنا بامتلاك أي عناصر للقوة ويقف على رأس الاستعمار الصليبي حاليًا الولايات المتحدة الأمريكية.

إذن فيجب الجهاد ضد إسرائيل، وضد أمريكا وضد أوروبا وهذا فرض عين على كل مسلم ومسلمة.

وفي هذا الإطار نجد أن أعداءنا من اليهود ومن الغرب الصليبي قد نجحوا في تجنيد العديد من المؤسسات والأحزاب والقادة للعمل معهم سواء بتنفيذ مخططاتهم أو قهر الشعوب والحيلولة دون القيام بواجب الجهاد أو بالترويج للقيم الحضارية الغربية ومن هؤلاء العلمانيين من يسار ويمين، اشتراكيين، وليبراليين وشيوعيين وكذلك الأنظمة المستبدة التي تقهر الشعوب ولا تسمح لها باختيار طريقها المستقل عن الغرب الصليبي وكذلك هؤلاء الذين يدعون للاندماج في حضارة الغرب أو التصالح مع إسرائيل وغيرهم.

وينطبق على هؤلاء قول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

وهذه الآية الكريمة تنطبق انطباقًا كاملاً على أحوالنا في هذا الزمان.. فهناك

تحالف وموالاة بين اليهود والنصارى، وهو تحالف لم يحدث إلا منذ فترة قليلة (حوالي القرن) لأنه كان هناك عداء واضطهاد من النصارى لليهود طوال التاريخ ولم يحدث هذا التحالف إلا في العصر الحالي.

والآية أيضًا تجعل هؤلاء الذين يوالون اليهود والنصارى من المسلمين منهم أي من اليهود والنصارى..﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

والآية تفرض على المسلمين عدم موالاة اليهود والنصارى، وهذا هو الطريق الطبيعي الذي يجب اتباعه حاليًا وفي مثل الأوضاع الدولية القائمة حاليًا، فليس أمام المسلمين إلا جهاد وقتال اليهود والنصارى.

إذن فالأعداء الذين يجب أن يجاهدهم المسلمون حاليًا هم اليهود والنصارى ومن والاهم.

جهاد المرأة المسلمة

للمرأة المسلمة دور هام في الكيان الإسلامي المجاهد، فهي الأم التي ترعى الأبناء وتربيهم على الإيمان وحب الاستشهاد والاستعداد الدائم للجهاد، ثم هي تدفعهم دفعًا وتحرضهم تحريضًا على الجهاد، وهي الزوجة الصالحة التي تخلف زوجها إذا ما خرج إلى الجهاد في أهله وبيته بالخير والمعروف، ثم هي التي تصبر وتحتسب عند فقد ابنها أو زوجها أو أبيها أو أخيها في إحدى المعارك، وهي أيضًا تقوم بأمور التمريض والإمداد والتموين وغير ذلك للمجاهدين، ولكنها فوق هذا يمكن أن تجاهد بنفسها وبمالها بمعنى إنها يمكن أن تحمل السلاح في سبيل الله وتقاتل وتُقتل وهناك الكثير من النماذج والأمثلة على المرأة المسلمة التي خرجت بنفسها للقتال فحملت السلاح ودخلت في المعمعة.

ومن المعروف أن العلماء قرروا أن الأصل في الجهاد هو الغزو في سبيل الله والهجوم على بلاد الكفار وقتالهم ونشر كلمة الله ولجعل كلمة الله هي العليا، وهذا فرض كفاية يمكن أن يقوم به الرجال عن النساء ولكن في حالة الاستثناء، وهي الحالة التي تكون فيها أراضي المسلمين محتلة بالكفار فإن الجهاد يصبح فرض عين

على كل مسلم ومسلمة بل إن على المرأة المسلمة في هذه الحالة أن تخرج للجهاد بدون إذن زوجها، أي سواء أذن لها أم لم يأذن لأن الجهاد هنا فرض عين عليها.

والأمثلة من التاريخ القديم والحديث كثيرة في شأن المرأة التي تقاتل في سبيل الله وتحمل السلاح ذودًا عن هذا الدين الحنيف في إطار فرض الكفاية وفرض العين معًا، وفي كتاب إمتاع الأسماع للمقريزي قالت أم عمارة تحكي عن نفسها (وأقبل الرجل الذي ضرب ابني فقال رسول ﷺ: (هذا ضارب ابنك، قالت فاعترض له فاضرب ساقه فبرك، قالت فرأيت رسول ﷺ يبتسم حتى رأيت نواجذه، وقال استقدت (ثأرت) يا أم عمارة، ثم أقبلنا نعله بالسلاح حتى أتينا على نفسه فقال النبي ﷺ الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينك).

وتروي أم عمارة أيضًا (قد رأيتني وقد انكشف الناس عن رسول الله ﷺ فما بقي إلا في نفير لا يُتِمُّون عشرة وأنا وأبناء وزوجي بين يديه نذبُّ عنه، والناس يمرون به منهزمين، ورآني لا ترس معي، فرأى رجلاً موليًا معه ترس فقال لصاحب الترس، القِ ترسك إلى من يقاتل.. فألقى ترسه فأخذته فجعلت أترَّس به عن رسول الله ﷺ فيقبل رجل على فرس فضربني وترَّستُ له، فلم يصنع سيفه شيئًا ودلى وأضرب عرقوب فرسه فوقع على ظهره، فجعل النبي ﷺ يصيح يا ابن أم عمارة أمك.. قالت فعاونني عليه حتى أوردته سقوبه (أي قتلتُه).

وفي رواية عن أم سعيد بن سعد بن الربيع تقول (ودخلت عليها – أي على أم عمارة – فقلت: حدثيني خبرك يوم أُحُد، قالت: خرجت أول النهار إلى أُحُد وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزتُ إلى رسول الله ﷺ فجعلت أباشر القتال وأذبُّ عن رسول الله ﷺ بالسيف، وأرمي بالقوس حتى خلصت إلى الجراح، قالت: فرأيت على عاتقها جرحًا غورًا أجوف، فقلت: يا أم عمارة من أصابك هذا؟ قالت: أقبل عليَّ ابن قميئة وقد ولى الناس عن رسول الله ﷺ وهو يصيح دلّوني على مُحمد فلا نجوتُ إن نجا؛ فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه فكنت فيهم، فضربني هذه الضربة ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه

درعان وفي الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ٤١٣ كان ضمرة بن سعيد المزي يحدث عن جدته، وكانت قد شهدت زحام تُسقى الماء قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول لمقام نسيبة بنت كعب اليوم، خير من مقام فلان وفلان وكان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر جرحًا.

وفي الرحيق المختوم للمباركفوري ص ٢٥٠/ ٢٥١ أن أم الفضل ضربت أبا لهب بعامود من عمد المنزل في رأسه فأصابته، وذلك دفاعًا عن أبي رافع عندما اعتدى عليه أبو لهب في منزل العباس عقب موقعة بدر، وقد مات أبو لهب متأثرًا بهذا الجرح.

وفي السيرة النبوية لابن هشام أن صفية بنت عبد المطلب كانت في أحد الحصون في معركة الخندق، فمر بهم أحد اليهود وأخذ يطوف بالحصن فخافت صفية أن يدل اليهودي عليهم، فقامت إليه وقد حملت عامودًا ونزلت من الحصن وضربته بالعامود حتى قتلته.

وفي الواقع فإن قيام المرأة المسلمة بالجهاد في إطار فرض الكفاية أو فرض العين لم يقتصر على صدر الإسلام بل امتد ليشمل جميع العصور والأزمنة والأمكنة، فالمرأة الجزائرية شاركت بالسلاح في المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي مثل لالا فاطمة التي قادت إحدى ثورات الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، كما سجلت يوميات ثورة التحرير الكبرى في الجزائر ١٩٥٤/ ١٩٦٢ ومشاركة الكثير من النساء في القتال بصورة مباشرة، والأمر ذاته حدث في المقاومة الفلسطينية والجهاد اللبناني.

مدد الله

في كثير من المعارك – التي خاضها المسلمون في عصر النبوة أو حتى بعد عصر النبوة وحتى اليوم – تكون القوى غير متكافئة.. بمعنى أن الأعداء يكونون أقوياء عددًا وعدة بالقياس إلى عدد وعدة المؤمنين، ومع ذلك ينتصر المسلمون، وهذا بالطبع بفضل مدد الله تعالى الذي يرسله الله مباشرة أو بشكل غير مباشر إلى المؤمنين، فيكون الله تعالى الذي يرسله الله مباشرة أو بشكل غير مباشر إلى المؤمنين، فيكون

النصر حليفهم، وهذه الحقيقة – أي وجود مدد الله المباشر أو غير المباشر – لها أهميتها القصوَى في رفع معنويات جند المسلمين، وفي دفعهم أصلاً لخوض المعارك مع القوى الكبرى مهما كانت الحسابات المادية لغير صالحهم، وهكذا فإحساس المسلم بمدد الله أمر إيجابي على كل مستوى فهو يدفعه إلى خوض المعارك مطمئنًا وهو يدفعه إلى تحدي القوى الجبارة مهما كانت درجة قوتها، وهذا في حد ذاته كفيل بجعل المسلمين قوة ثورية كبرى قادرة على إحداث التغيير دائمًا مهما كانت موازين القوى..

وبالطبع يدرك المسلمون أن مدد الله تعالى لا يأتي إلى الخاملين أو القاعدين أو الكسالى أو المتراخين، وكذلك لا يأتي للذين لا يأخذون بالأسباب، ويدرك المسلمون أن لمدد الله شروطًا.. أولها الثقة بنصر الله والإيمان به، وثانيها بذل كل الجهد من استعداد وتدريب وتسليح وتخطيط وغيره من الأسباب المادية..

ولأن القوى العلمانية تدرك أهمية الإيمان بمدد الله في دفع المسلم للشجاعة والثورة والمواجهة لأنه يستند إلى أقوى الأقوياء.. الجبار فوق كل جبار.. وبالتالي فلا خوف من مواجهة أية قوة طاغية أو جبارة، ومهما كان ميزان القوى لغير صالح المسلمين. وبالتالي فإن مدد الله تعالى عامل مهم من عوامل قلقلة القوى الباغية وعدم استقراره، فإن الجهاز الإعلامي والفكري للقوى العلمانية يحاول دائمًا أن يثير الغبار ويشكك في هذه الحقيقة – حقيقة وجود مدد الله – فراح البعض يتهكم على هذه الحقيقة بدعوى أنها دعوة للتراخي وراح البعض الآخر يقول إنها مسألة رمزية!!.. وراح البعض الثالث يصف الحديث عن مدد الله تعالى بمجافاة روح العلم..•

ولا شك أن هذه المحاولة العلمانية محاولة مردودة، فمدد الله تعالى دعوة للثقة بالنفس.. أليس المسلم يستند إلى أقوى الأقوياء، وهو دعوة للأخذ بالأسباب والحسابات من كل نوع، وهو دعوة للمواجهة والثورة مهما كان ميزان القوى ومهما كان نوع القوة التي سنواجهها، وهو دعوة للحركة وليس القعود، بذل الجهد وليس

• فعل ذلك كل من الدكتور فؤاد زكريا، فرج فودة، بخصوص الحديث عن الكرامات في حرب ١٩٧٣، واعتبروا أن ذلك خرافة وأمر يتناقض مع العلم ودعوة للكسل والتراخي.

الكسل، وهو أولاً وأخيرًا أمر معلوم من الإسلام بالضرورة استنادًا إلى نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة..

يقول الله تعالى في سورة الأنفال:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ٩-١٢].

ويقول: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:١٧].

وفي سورة آل عمران:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٦].

وإذا تأملنا سورة الأحزاب أن الآيات التي سجلت واقعة الأحزاب قد حددت معالم المدد من جميع نواحيه فهو مدد من الريح أو جنود لا نراها، ولكن هذا بعد أن يخفّ المسلمون إلى القتال، وبعد أن يأخذوا بالأسباب مثل حفر الخندق، ومثل استمرار ثقتهم وإيمانهم بالله رغم جحافل المشركين التي لم يكن للمسلمين قبل بها بحساب العوامل المادية وحدها، وترصد الآيات هؤلاء الذين ظنوا بالله الظنون أو هؤلاء الذين خذلوا المؤمنين عن القتال بدعوى عدم تكافؤ القوى..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ

تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۖ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ❁ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٩-٢٥].

وإذا تأملنا هذه الآيات الكريمة نجد:

- أن مدد الله تعالى حقيقة إسلامية لا ينكرها إلا جاحد:

- أن هذا المدد يأتي مباشرة من الله، أو عن طريق جنوده التي نعلمها أو التي لا نعلمها مثل الملائكة -الريح، الرعب في قلوب الأعداء وغيرها.

- أنه لولا الإيمان المطلق بمدد الله تعالى لما خرج المسلمون للقتال وخاصة في غزوة خَيْبَر حيث إن القوى كانت غير متكافئة بالمرة، ولعل هؤلاء الذين رأوا عدم تكافؤ القوى وغابت عنهم الثقة المطلقة في مد الله قد عبروا عن ذلك بالقعود أو

الاعتذار أو غير ذلك، وهكذا فإن الإيمان بمدد الله حافظ قوي للأخذ بالأسباب، والاستعداد للقتال، وحمل السلاح رغم عدم تكافؤ القوى، وبالتالي فهو عامل مهم من عوامل النهوض وليس العكس.

- أنه من نافلة القول أن الإيمان بمدد الله تعالى لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب، بل الأخذ بالأسباب شرط لوصول المدد - حفر الخندق مثلاً في غزوة الأحزاب.

- وإذا كانت الآيات القرآنية قد تحدثت عن حالات وقعت في عصر النبوة فإنها جاءت بصيغة المطلق لتؤكد أنها حالات مستمرة يمكن أن تتكرر إذا تحققت شروطها بمعنى أنه إذا كان هناك قوم يؤمنون بمدد الله ويثقون في ذلك ثقة مطلقة، وقد أخذوا بكل ما أمكن من الأسباب المادية فإن الله سوف يمدهم بمدد من عنده كفيل بتحقيق النصر مهما كانت قوة الأعداء.

ولنتأمل آيات أخرى تخصُّ حالتنا المعاصرة يقول الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١-٥٢].

وهذه الآيات تتحدث عن موالاة بين اليهود والنصارى وهو الأمر الذي لم يحدث في التاريخ كله الممتلئ بالعداء بين اليهود والنصارى إلا في النصف الثاني من القرن العشرين - حيث تم تفسير الإنجيل تفسيرًا معينًا لصالح دعم إسرائيل «البروتستانت»، وتم تبرئة اليهود من دم المسيح وزيارة باباوات الكاثوليك لإسرائيل.. «الكاثوليك».. وهكذا فهذه الآيات تتحدث عن واقعنا المعاصر، ولعل ما يؤكد ذلك أن بعض المسلمين اتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بدعوى أن اختلال ميزان القوى بيننا وبينهم لا يسمح إلا بهذا، أي أنهم يقولون لا نقدر عليهم، نخشى أن يدمرونا بأسلحتهم ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾..

وبالطبع فإن المؤمنين بالله الواثقين من مدده لا يستطيعون الآن أن يزعموا أنهم قادرون على هزيمة الغرب وإسرائيل عسكريًا، نظرًا لاختلال مروع في ميزان القوى، والله تعالى يطمئن هؤلاء بقوله: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ أي عسى الله تعالى أن يتدخل بإرادته المباشرة أو غير المباشرة فيقضي على قوة الأعداء أو بنصر المؤمنين رغم اختلال ميزان القوى، وقتها يصبح دعاة التغريب نادمين على ما أسروا في أنفسهم من عمالة للغرب، أو التبشير بالخضوع له بدعوى عدم تكافؤ القوى.

والحديث عن مدد الله تعالى كما جاء في السنة النبوية المطهرة حديث طويل، وسوف نختار بعض الأمثلة الواضحة على ذلك، ففي معركة بدر مثلاً.. وفي رواية ابن إسحاق قال رسول ﷺ: «أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله.. هذا جبريل آخذ بزمام فرسه يقود على ثناياه الفتح..» الرحيق المختوم للمباركفوري ص ٢٤١..

وفي رواية ابن سعد عن عكرمة قال: كان يومئذ يندر رأس الرجل لا يدري من ضربها، وقال ابن عباس: بينما رجل من المسلمين يشتد في طلب رجل من المشركين أمامه إذ يسمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: [صدقت.. ذلك مدد من السماء الثالثة]. قال أبو داود المازني إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قتله غيري، وجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا.. فقال العباس:

إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أصبح من أحسن الناس وجهًا على فرس أبلق وما أراه في القوم، فقال الأنصاري أنا أسرته يا رسول الله.. فقال: «**اسكت فقد أيدك الله بملك كريم**» المباركفوري ص ٢٤٣..

«فبينما هو جالس – أي أبو لهب – إذا قال الناس هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو لهب: هلم إليَّ فعندك لعمري الخبر، قال فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟.. قال: ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا.. وايم الله مع ذلك ما لمت القوم، لقينَا رجالٌ بيضٌ على خيل بلق من السماء والأرض، والله ما تليق

شيئًا ولا يقول لها شيء» المباركفوري في الرحيق المختوم ص ٢٥١..

«وانقطع يومئذ سيف عكاشة بن محض فأعطاه النبي جذلاً (عودًا) من حطب، فقال: دونك هذا.. فلما أخذه عكاشة وهزه عاد في يده سيفًا طويلاً فلم يزل عنده يقاتل به حتى قُتل أيام أبي بكر..» مختصر السيرة لابن محمد بن عبد الوهاب ص١٨٧..

أما في معركة أُحُد.. قال أبو طلحة «كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارًا، يسقط وآخذه، ويسقط وآخذه» الرحيق المختوم ص ٣٠٧..

وكان هذا النعاس أمنة من الله. يقول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عمران -١٥٤].

وروى الترمذي والنسائي والحاكم من حديث حماد بن مسلم عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال: «رفعت رأسي وجعلت أنظر وما منهم يومئذ أحد إلا يميل جحفة من النعاس»..

«وأصيبت عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته.. فجاء رسول الله ﷺ فأخذها وردها فعادت كما كانت ولم تضرب عليه بعدها، وكان يقول بعد ما أسنّ هي أقوى عيني وكانت أحسنهما» (إمتاع الأسماع ١/ ٣٣)

وفي الصحيحين عن سعد قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يُقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد، وفي رواية يعني جبريل وميكائيل» صحيح البخاري ٢/ ٥٨٠

«وقال نافع بن جُبير: سمعت رجلاً من المهاجرين يقول شهدت أُحدًا فنظرت إلى النبل يأتي من كل ناحية ورسول الله ﷺ وسطها.. كل ذلك يُصرف عنه، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يقول يومئذ: دلوني على مُحمد فلا نجوت إن نجا ورسول الله ﷺ إلى جنبه ما معه أحد، ثم جاوزه فعاتبه في ذلك صفوان فقال: والله ما رأيته أحلف بالله أنه منا ممنوع فخرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص إلى

ذلك..» زاد المعاد ٢/ ٩٧

وفي غزوة الخندق:

«إنا يوم خندق نحفر ففرضت علينا كدية شديدة.. فجاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر – ولبثنا ثلاثة لا نذوق ذواقًا – فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيبًا أهيل أو أهيم (أي صار رملاً لا يتماسك)».. زاد المعاد والبخاري ٢/ ٥٨٨

وقال البرَّاء: «لمَّا كنا يوم الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول فاشتكينا ذلك لرسول الله ﷺ، فجاء وأخذ المعول، فقال: بسم الله ثم ضربه ضربة وقال.. **«الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأنظر إلى قصورها الحمر الساعة»**، ثم ضرب الثانية، فقطع آخر فقال: «**الله أكبر أعطيت فارس والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن**» ثم ضرب الثالث فقال: «بسم الله فقطع بقية الحجر فقال: «**الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء مكاني**» سنن النسائي وأحمد في مسنده .

«رأى جابر بن عبد الله رسول الله ﷺ يحفر ورآه خميصًا فأتى امرأته فأخبرها ما رأى من خمص رسول الله ﷺ فقالت.. والله ما عندنا شيء إلا هذه الشاه ومد من شعير، قال فاطحني وأصلحي.. فطبخوا بعضها وشووا بعضها وخبزوا الشعير ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد صنعت لك طعامًا فأت أنت ومن أحببت من أصحابك.. فشبَّك ﷺ أصابعه بين أصابع جابر ثم قال أجيبوا جابر يدعوكم فأقبلوا معه، فأقبلوا معه، فقال جابر في نفسه: والله إنها الفضيحة!!.. وأتى المرأة فأخبرها فقالت: أنت دعوتهم أم هو؟.. فقال: بل هو دعاهم!!.. قالت: دعه فهو أعلم، وأقبل رسول الله ﷺ وأمر أصحابه وكانوا فرقًا عشرة عشرة، ثم قال لجابر: أغرفوا وغطوا البرمة وأخرجوا من التنور الخبز ثم غطوه ففعلوا وجعلوا يغرفون ويغطون البرمة ثم يفتحونها فما يرونها نقصت شيئًا ويخرجون الخبز من التنور ويغطونه فما يرونه ينقص شيئًا، فأكلوا حتى شبعوا وأكل جابر وأهله» صحيح البخاري ٢/ ٥٨٨، ٥٨٩

«وجاءت أخت النعمان بن بشير بحفنة من تمر إلى الخندق ليتغدَّى أبوه وخاله، فمرت برسول الله فطلب منها التمر وبدره فوق ثوب، ثم دعا أهل الخندق فجعلوا يأكلون منه، وجعل التمر يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه، وأنه يسقط من أطراف الثوب» السيرة لابن هشام ٣/ ٢٢٨-٢٢٩.

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظِي قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان.. يا أبا عبد الله، أرأيتهم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟.. قال: نعم.. قال فكيف كنتم تصنعون؟.. قال: والله لقد كنا نجاهد، قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا، قال فقال حُذيفة: يا ابن أخي.. والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله ﷺ هويًا من الليل، ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظرنا ما فعل القوم ثم يرجع – يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة – أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟.. فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلمَّا لمْ يقم أحد، دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: يا حُذيفة اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تُحدثنَّ شيئًا حتى تأتينا، قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناءً.. فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه؟.. قال حُذيفة فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جانبي فقلت: من أنت قال فلان بن فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام.. لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قِدْر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فو الله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ولولا عهد رسول الله ﷺ إليَّ أن لا تحدث شيئًا حتى تأتيني» ثم شئت لقتلته بسهم، قال حُذيفة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرطٍ لبعض نسائه، مراجل. فلما رآني أدخلني إلى رجليه وخرج على طرف المرط ثم رجع وسجد وإني لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم،

ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعًا إلى المدينة والمسلمون ووضعنا السلاح » السيرة لابن هشام.

ولا شك أن تجربة حزب الله في لبنان تمثل نموذجًا معاصرًا لمدد الله تعالى الذي يؤيد به الله جنوده المخلصين، فحزب الله يمتلك الإيمان وحشد كل إمكانياته وقدراته في المعركة، وهكذا استحق المدد وقد تمثل ذلك المدد في أن حزب الله وهو حزب صغير استطاع ينتصر على أقوى قوة إقليمية «إسرائيل» مدعومة بأقوى قوة عالمية «أمريكا» واستطاع أن يحقق إنجازات عسكرية عالمية المستوى بل واستخباراتية أيضًا في مواجهة أحدث وأقوى أجهزة الاستخبارات كمًا ونوعًا، وإذا حاولنا تفسير ذلك بمعزل عن مفهوم المدد الرباني لاستحال ذلك تقريبًا. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن حادث «أنصارية» التي استطاع فيها مقاتلو حزب الله أن ينتظروا في المكان الصحيح إنزالاً إسرائيليًا لأقوى كتيبة إسرائيلية من قوات المظليين وأن يقتلوا ويأسروا أعضاء الكتيبة بالكامل.. وهو أمر لا يمكن فهمه إلا في إطار أن حزب الله يخترق غرفة العمليات الإسرائيلية – وهذا غير معقول- أو أن مدد الله كان حاضرًا!!

وكذلك عمليات قتل كبار الجنرالات في الجنوب وفي كل مرة يجن جنون الإسرائيليين، فكيف عرف رجال حزب الله خط سير هؤلاء الجنرالات ومنهم نائب القائد العسكري الإسرائيلي في الجنوب، وثالثًا نجاح حزب الله في أسر الجنود الإسرائيليين الثلاثة وبعدهم العقيد الإسرائيلي في المخابرات الإسرائيلية «الموساد» في عمليات هادئة ومعقدة، بل لم تعرف بها إسرائيل إلا بعد أن أعلن عنها حزب الله، إنه مدد الله، إنه مدد الله. سبحان الله.

المقاومة الإسلامية في لبنان الأيديولوجية والجذور

«كما يتوجه المسلم إلى القبلة الشريفة فالرصاص يجب أن يتوجه إلى صدور العدو فقط» من كلمات السيد: عباس الموسوي – بعلبك- ٤ رمضان ١٤٠٥ هـ.

لماذا انتصرت المقاومة الإسلامية في لبنان دائمًا؟.. لماذا لم تنجح إسرائيل أبدًا في

القضاء على تلك المقاومة برغم امتلاك إسرائيل لأحدث أنواع السلاح وأشده فتكًا، وبرغم الدعم الاستخباراتي والمعلوماتي والاستراتيجي الأمريكي والغربي لها؟.. لماذا تستعصي تلك المقاومة – وكل من يتخذ أسلوبها وبرنامجها – على الذبح على أيدي القوى الاستكبارية؟.. ما هي المناعة الذاتية والقدرة المدهشة التي تمتلكها تلك المقاومة والتي أعطتها هذا القدر من الصمود؟.. لماذا حظيت المقاومة الإسلامية في لبنان بهذا القدر الهائل من التضامن الشعبي العربي والإسلامي بل من كل المستضعفين في العالم؟.. وهل يمكن اعتبار كفاح هذه المقاومة بالإضافة إلى كفاح الجهاد الإسلامي الفلسطيني نواة لحركة تحرر عالمي ضد الاستكبار لانتزاع حقوق المستضعفين في العالم كله؟.. وهل يتحول الطرح السياسي والحضاري لتلك المقاومة إلى أيديولوجية للمحررين في كل مكان في العالم في مواجهة النمط الحضاري والقيَمي الغربي الذي يهدد العالم بأسره، فضلاً عما أحدثه بالفعل من ظلم وقهر وعنف وحرمان؟.. لماذا نجحت المقاومة اللبنانية في أن تصبح طليعة لكل قوى التحرر العربي على اختلاف مشاربها الدينية والطائفية والسياسية والطبقية؟.. وبصيغة أخرى لماذا نجحت المقاومة اللبنانية في الخروج من مأزق الطائفية الضيق إلى رمز للتحرر لكل إنسان مسلمًا كان أو مسيحيًا، عربيًا أو عالميًا، أبيض أو أسود أو أصفر؟.. وهل تشكل المقاومة – بأسلوبها وبرنامجها- بديلاً أيديولوجيا عالميًا جديدًا للتحرر من الهيمنة الغربية؟.. لماذا كانت المقاومة – وحزب الله بالتحديد- هي الجزء الحي في النسيج العربي الذي اهترأ الكثير من أجزائه وأطره الفكرية والتنظيمية؟..

ما المقاومة؟.. وماذا تمثل؟.. وإلى أي آفاق تتطلع؟.. هذه وغيرها أسئلة طرحت نفسها على الواقع الفكري والسياسي العربي والعالمي.

ولكي نجيب عن هذه الأسئلة أو بالأحرَى نقترب منها فإن علينا أن نحدد الكثير من المعالم العامة والخاصة المتصلة بأحوال العالم من حولنا، والمتصلة بأحوال الصراع الإسلامي الصهيوني باعتباره أخطر أشكال المواجهة بين قوى الخير والشر، وأخطر أشكال التحديات التي واجهتها الحضارة الإسلامية.

طبيعة الصراع:

شاء الله تعالى أن يغطي الصراع بين الحضارة الإسلامية بما تمثله من حق وحرية وعدل ولا عنصرية، والحضارة الغربية، بما تمثله من قهر وعنف وظلم وعنصرية مساحة واسعة من التاريخ والجغرافيا، ومنذ حياة الرسول ﷺ وحتى الآن ما زال هذا الصراع محتدمًا، وقدر هذا الصراع بحالات متنوعة من الكر والفر، المد والجزر حتى وصلنا إلى الحالة الراهنة من الصراع التي تتميز بمجموعة من المعطيات المختلفة عن سابقتها والتي تحتاج بالتالي إلى نوع من الاستجابة متميز وفعال، والحالة الراهنة من الصراع يمكن أن نطلق عليها الحرب الصليبية الثالثة، على أساس أن الحرب الصليبية الأولى بدأت ١٠٩٨م وانتهت ١٢٩٦م، والثانية بدأت ١٧٩٨م على يد بونابرت ثم حدث احتلال لمعظم الدول الإسلامية واحدة بعد الأخرى، ثم الثالثة التي نحن بصددها الآن بدأت بحرب الخليج ودخول القوات الأجنبية إلى المنطقة وانهيار الشيوعية والتفرغ الأوروبي والأمريكي بالتالي للمسلمين على أساس أنهم العدو الأساسي، إلا أن هناك حالة – هي الأهم – بدأت في نهاية الحملة الثانية، وتصاعدت في الحملة الثالثة، وهي قيام إسرائيل ١٩٤٨م والاستعداد لتوسيعها لتحقيق إمبراطورية اليهود من النيل إلى الفرات، التي بدأت ملامحها في عام ١٩٦٧م وما بعدها، وهذه الحالة هي أهم وأخطر مواقع الصراع، ذلك أن الصراع الطويل بين الإسلام وأوربا يتجسد الآن في إسرائيل، وعلينا أن نلاحظ أن هناك تحالفًا استراتيجيًا وليس تكتيكيًا فقط، بين الحضارة الأوروبية واليهود بدأ منذ القرن الماضي فقط، وتمخض عن قيام إسرائيل وحصولها على الدعم الغربي الكامل، أوربا ثم أمريكا، وإذا كان اليهود قد تعرضوا للاضطهاد طويلاً في أوربا فإن أوربا أرادت أن تتخلص منهم كحثالة بشرية غير مرغوب فيها في أوربا، والكيد بهم للإسلام والمسلمين في نفس الوقت، واستغل اليهود هذا الأمر وتحر فيهم حقدهم القديم على الإسلام، ونفذوا المهمة بحماس، رغم أنهم يعرفون مدى الاضطهاد الذي تعرضوا إليه في أوربا والتسامح الذي عاشوه في ظل حضارة الإسلام، وعلى كل حال فإن النبوءة القرآنية قد تحققت، ونقصد بها الصمود الإسرائيلي والتحالف بين أوربا واليهود

الذي لم يحدث طوال التاريخ إلا في المرحلة الراهنة.. فالآية القرآنية تقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

وكان المفسرون يحتارون في تفسير هذه الآية ويلجأون إلى تفسيرها تفسيرًا إجماليًا في إطار أن الكفر ملة واحدة دون ذكر تفاصيل محددة لهذه الموالاة، لاحظ أن الولاء والموالاة أكبر من التحالف – ولاحظ أيضًا أن اليهود تعرضوا للاضطهاد الأوربي حتى الأربعينات من هذا القرن، وأنهم بالغوا في ذلك طبعًا لابتزاز ألمانيا وأوربا، أما الآن فقد تحققت النبوءة القرآنية بالكامل، فالموالاة التي هي أشمل من التحالف بين الغرب وإسرائيل واضحة جدًا، سواء في ازدواج المعايير الغربية فيما يخص إسرائيل، أو في الدعم الهائل الذي تلقته إسرائيل من الغرب لدى قيامها وحتى الآن، وانتهاءً بما يُسمى بالأصولية الإنجيلية التي تجعل دعم إسرائيل الكبرى واجبًا مسيحيًا، على أساس أن ذلك شرط لظهور المسيح – حسب معتقداتهم الباطلة – ووقع معركة هِرْمَجْدُونْ كما يرى دعاة هذا التفسير المزيف للإنجيل المحرَّف، وكذلك وصل الأمر إلى حد تبرئة الكنيسة الكاثوليكية لليهود من دم المسيح وحتى بابا الفاتيكان يعلن أنه لا يمانع من الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة لإسرائيل بشرط حرية العبادة بالأماكن المقدسة، وحتى أسبانيا التي طردت اليهود مع المسلمين منذ ٥٠٠ عام اعتذرت رسميًا عن ذلك لليهود فقط، دون أن تعتذر للمسلمين بالطبع..

حزب الله حلقة من حلقات الكفاح الشعبي الإسلامي

إذن فنحن أمام تحدٍ غربي يستهدف القضاء على أمة الإسلام دينًا ومنارة وطليعة لتحرير العالم، ويستخدم الغرب إسرائيل لتحقيق هذا الهدف، فإسرائيل ليست دولة بالمعنى المتعارف عليه للدول، ولكنها مجرد جماعة بشرية عدوانية تقوم بمهمة العدوان مقابل أجر، وتحقق للغرب أهدافه بثمن بخس، وتحقق أهدافها هي في نفس الوقت، وعلينا أن ندرك في هذا الإطار أن الغرب متفوق علينا عسكريًا واقتصاديًا وبالتالي إسرائيل التي تمتلك الدعم والسلاح الغربي، متفوقة علينا عسكريًا في إطار

الجيوش والآلات، وبالتالي لا يمكن مواجهتها بالحرب النظامية ولا بالأسلحة التي نستوردها من الغرب نفسه!!.. وليس هناك من سبيل لمواجهة إسرائيل إلا بالحرب الشعبية الاستشهادية في إطار الأيديولوجية الإسلامية، وذلك بالطبع يرجع إلى طبيعة الصراع، وطبيعة المعسكر المعادي، وطبيعة قوانا الذاتية، فنحن لا نملك إلا سلاح الجماهير المجاهدة، وهذه الجماهير لا تجاهد إلا من خلال تحريك وجدانها، وهذا الوجدان إسلامي حتى النخاع، وبالتالي فلا يمكن تحريك هذه الجماهير إلا من خلال التعبئة الإسلامية.. لنتأمل معًا الآيات القرآنية في سورة المائدة من ٥١ إلى ٥٢:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾.

الآيات تتحدث عن الحالة التي نحن بصددها، وهي الموالاة والتحالف الاستراتيجي بين الغرب الصليبي وإسرائيل اليهودية، وتحدد لنا الطريق الصحيح، بل تشرح أن هناك منهجين وأسلوبين سيظهران إزاء هذه الظاهرة، المنهج الأول هو منهج الاستسلام والسلام مع إسرائيل وعدم مواجهة الغرب، بحجة الخوف من بطشهم، ولسان حال أصحاب هذا المنهج الاستسلامي يقول: لا نقدر على إسرائيل، لا نقدر على الغرب، سيدمروننا بأسلحتهم، والمنهج الثاني هو منهج الثقة بنصر الله تعالى، فالله تعالى يقول لأصحاب هذا المنهج عليكم أن تثقوا في الله تعالى مالك الكون كله. فهو قادر رغم عدم التكافؤ في السلاح والإمكانيات على أن ينصرنا بإرادته المباشرة أو غير المباشرة على هؤلاء الأعداء.. وهكذا فالوقوف الصحيح والمنهج الصحيح هو المواجهة، ومقاتلة إسرائيل والتأكيد على الذات والهوية الحضارية لأمتنا، ورفض الاندماج أو الخضوع للغرب، وحشد كل الأمة لمواجهة الاستعمار والصهيونية وتحقيق الوحدة وإعلاء قيم الجهاد..

وفي الحقيقة فإن منهج المواجهة والقتال والجهاد والمقاومة استنادًا إلى الجماهير، وعن طريق التعبئة الإسلامية كان ولا يزال منهجًا كبيرًا في ضمير الأمة وتاريخها المعاصر وحالتها الراهنة، وهناك العديد من الرموز في هذا الصدد، عبد

القادر الجزائري وعبد الكريم الخطابي، وعمر المختار، الأفغاني والنديم ومصطفى كامل ومحمد فريد، وحسن البنا، وعز الدين القسَّام، وفتحي الشقاقي، آية الله الخوميني، وعباس الموسوي، علي عزت بيجوفيتش وجوهر داوودييف.. إلخ، وعلى أرض فلسطين باعتبارها القضية المركزية للأمة، وباعتبار أنه على أرضها يتقرر مصير أمة الإسلام، إما نصر وإما نهاية لا قدر الله، فإن أصحاب منهج المواجهة يتواصلون منذ بدايات الغزوة الصهيونية، ثورة ١٩٢٠ ضد الهجرة اليهودية إلى فلسطين، انتفاضة حائط البراق سنة ١٩٢٩، ثورة عز الدين القسَّام ثم ثورة ١٩٣٦، الكفاح والقتال الذي مارسته الجماهير والتنظيمات الإسلامية في معركة ١٩٤٨، الجماهير المسلمة التي انخرطت في العمل الذاتي منذ ١٩٤٨ وحتى معركة الكرامة في الأردن مارس ١٩٦٨، الشيخ حافظ سلامة ومقاومة شعب السويس للاختراق الإسرائيلي في ١٩٧٣، الشيخ راغب حرب والمقاومة الإسلامية في لبنان ١٩٨٢، عمليات الجهاد الإسلامي في فلسطين، وأخيرًا حزب الله في لبنان الذي أصبح الحلقة الأهم سياسيًا وعسكريًا في مواجهة الكيان الصهيوني..

إذن فحزب الله، والمقاومة الإسلامية في لبنان هي حلقة من ملفات الكفاح الإسلامي ضد الكيان الصهيوني والهيمنة الغربية وإذا كان حزب الله (المقاومة الإسلامية اللبنانية) لم ينشأ من فراغ بل هو امتداد لمجمل الكفاح الشعبي الإسلامي المعاصر، الذي تتداخل حلقاته، فإن من غير العلمية ولا الموضوعية تحديد تاريخ بعينه لظهور الحزب؛ لأن جماهيره ورجاله المؤسسين كانوا جزءًا من حلقات الكفاح السابقة، ولكن يمكننا أن نضع عام ١٩٨٢ كعلامة فارقة في تاريخ الحزب، فعلى أثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ قام عدد من رجال وعلماء الإسلام أمثال الشيخ راغب حرب، وعباس الموسوي بتنظيم عمليات المقاومة في الجنوب، ومع المقاومة وعلى وهج الجهاد بدأ الظهور التنظيمي والحركي لحزب الله، ويعتبر السيد عباس الموسوي أهم مؤسس هذه الحركة وأمينها العام الأول إلى أن استشهد وخلفه السيد حسن نصر الله عام ١٩٩٢...

ولا شك أن معرفة أطوار حياة الشهيد عباس الموسوي مؤسس الحزب تلقى

ضوءًا كبيرًا على طبيعة هذا الحزب وظروف نشأته وكفاحه..

ولد الشيخ الشهيد عباس الموسوي عام ١٩٥٢ في ضاحية الشياح بجنوب لبنان، واهتم بالقضية الفلسطينية منذ بداية حياته، فالتحق بمعسكرات تدريب المقاومة الفلسطينية في عدة دورات وهو في العاشرة من عمره، وأصيب بكسر في ساقه في إحدى هذه الدورات، كما اهتم اهتمامًا واسعًا بمعرفة وقراءة كل ما يتصل بالقضية الفلسطينية، ثم التحق بمعهد الدراسات الإسلامية في مدينة صور اللبنانية ثم رحل إلى النجف الأشرف بالعراق عام ١٩٦٩ لمواصلة دراساته العلمية، وتتلمذ على يد المفكر الإسلامي العالمي السيد محمد باقر الصدر.

وقد برز السيد الموسوي كعالم وفقيه في سن مبكرة، فكان يلقي المحاضرات ويعقد الندوات في النجف الأشرف ثم عاد إلى لبنان نهائيًا عام ١٩٧٨ بعد أن اكتملت في نفسه معالم الثورة والمقاومة فكرًا وخبرة من خلال علومه الدينية والعلمية، ومن خلال مشاركته في كفاح شعب العراق ضد الاستبداد، وشارك في إقامة معهد علمي في مدينة بعلبك اللبنانية وشارك في مجمل العمل السياسي الإسلامي المهتم بقضايا المستضعفين والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص، وفي عام ١٩٨٢ وعندما اجتاحت القوات الصهيونية أرض لبنان في ذلك الوقت رحل السيد الموسوي إلى الجنوب لتنظيم المقاومة، والتقى في بلدة جبشيت بالجنوب اللبناني بالشهيد الشيخ راغب حرب إمام مسجد جبشيت، وألقى إليه مهمة قيادة المقاومة في الجنوب وأخذ السيد عباس الموسوي يتنقل من بلدة إلى بلدة في الجنوب ثم في البقاع وضواحي بيروت الفقيرة، ناشرًا لواء الثورة واستطاع في خلال سنوات قليلة أن يُخرج من رحم الأمة الخصب هذا الكيان المتميز المسمى «حزب الله» الذي أصبح علمًا على مقاومة الاحتلال الصهيوني منذ عام ١٩٨٢ وحتى الآن وقد استشهد السيد عباس الموسوي عام ١٩٩٢ عندما هاجمته وأسرته عدد من الطائرات الحربية الإسرائيلية وهو في طريقه عائدًا من أحد الاجتماعات الشعبية في الجنوب اللبناني..

تعد مسيرة حزب الله منذ نشأته عام ١٩٨٢ وحتى الآن هي مسيرة منهج المقاومة والمواجهة للكيان الصهيوني وللهيمنة الغربية، ولعل الظروف الموضوعية التي

سادت المنطقة والعالم في هذه الفترة أعطت الكثير من الزخم لحزب الله والمقاومة الإسلامية والجهاد الفلسطيني واللبناني عمومًا، ففي ذلك الوقت كانت تتساقط أفكار ورموز حملت صدقًا أو كذبًا لواء المقاومة للمشروع الصهيوني، كانت منظمة التحرير تنحدر منه باتجاه هاوية الاستسلام لإسرائيل، وانتهى بها الأمر إلى السقوط في مستنقع أوسلو؛ فاعترفت بإسرائيل وأسقطت خيار البندقية، بل تنكرت لكل شهدائها ووصمتهم بالإرهاب، وأصبح ياسر عرفات شرطيًا لحماية أمن إسرائيل، وكانت الأنظمة العربية بدورها قد راهنت على خيار السلام مع إسرائيل، وارتفعت نبرة تبرير هذا السلام مع إسرائيل، بل واعتباره طريقًا لا بديلاً عنه، ومع تغير الظرف الدولي ونهاية الاستقطاب الدولي الذي كان يعطي هامشًا من حرية الحركة والمناورة بين القوتين الأعظم، أصبح الخضوع لإسرائيل والقبول بها أمرًا أسموه واقعًا، وكان لابد أن يظهر من رحم الأمة الخصب كيانٌ لا يخضع للمتغيرات الدولية، ولا يراهن على لعبة السياسة والتناقضات بل يعتمد على قواه الذاتية وثوابت الأمة، ظهر إذن حزب الله وظهرت المقاومة الإسلامية اللبنانية والفلسطينية لتكون هي الجزء الباقي في جسد الأمة بعد أن اهترأت منظمات وأفكار، ولا شك أن سقوط القوى غير الإسلامية في مستنقع التفاوض والقبول بإسرائيل كان أمرًا طبيعيًا لأن اعتماد هؤلاء على المتغيرات الدولية جعلها في مهب الريح، وكذلك اعتماد خطابها السياسي على أفكار وأيديولوجيات لم تخرج من رحم الأمة ولا تخاطب وجدانها بل هي غريبة عليها ومريبة، بل وأيضًا استخدام خطاب غربي أيديولوجي في مواجهة ظاهرة غريبة وهذا بالطبع رصيد نافد لا محالة ولا يصمد كثيرًا خاصة في المنحنيات التاريخية..

لكن المقاومة الإسلامية التي تعتمد على الجماهير وهي السلاح الوحيد في المواجهة، والتي تستند إلى جذر أيديولوجي عميق جدًا في الوجدان الشعبي «الإسلام»، لابد أن تستمر لأنها تعبير صحيح عن طبيعة الصراع ولأن أدواتها لا تنفد.

وهكذا أصبحت المقاومة الإسلامية أملاً لكل فلسطيني ولبناني وعربي ومسلم، بل ولكل المستضعفين في العالم، باعتبارها تحمل راية المواجهة للمشروع الاستكباري العالمي الذي يعاني منه كل المحرومين في العالم، ولأنها قدمت الإسلام

كأيديولوجية للفقراء في العالم واعتبرته جذرًا ثقافيًا لمشروعها التحريري تحرير فلسطين، وإنهاء الهيمنة الغربية على العالم، ووقف الظلم والعنصرية اللتين اتسم بهما المشروع الغربي، وكان من الطبيعي أن يحصل حزب الله والمقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين على حب وتقدير وتضامن كل فلسطيني وعربي ومسلم ومستضعف وأن تصبح المقاومة رمزًا للأمل العربي والعالمي، وأن ينخرط فيها مباشرة أو بطريق غير مباشر كل شريف وكل ضعيف في العالم..

ولا شك أن صمود حزب الله وانتصاراته المتوالية على إسرائيل واستعصاءه على الذبح برغم كل ما فعلته إسرائيل، ومن خلفها الاستكبار الدولي يرجع إلى طبيعة حزب الله الجماهيرية، وارتفاعه في ممارساته السياسية والحربية فوق الطائفية والعرقية وبالتالي أصبح يمتلك عمقًا استراتيجيًا عميقًا لبنانيًا وفلسطينيًا وعربيًا وإسلاميًا وعالميًا، فضلاً عن أن من سنن الله في هذا الكون أن الإنسان أقوى من التكنولوجيا، وأن سلاح الاستشهادي ـ الذي كان حزب الله رائدًا له ـ سلاح لا يمكن مواجهته باعتراف قادة الغرب وإسرائيل أنفسهم، وإذا كان من الناحية الاستراتيجية لا يمكن وقف سلاح الاستشهاد فمن الناحية الثقافية فإن الاستشهاد يفجر الوعي.

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ وبالتالي يتطور الأداء السياسي والتنظيمي والفكري والفني لحزب الله وللجماهير في كل مكان بسبب سلاح الاستشهاد، وكشفت ممارسات حزب الله وصموده عن مدى هشاشة إسرائيل ومدى هشاشة المشروع الاستكباري العالمي، وبعد تجربة حزب الله لا مجال للكذب والقول بأنه لا طريق ولا إمكانية لمواجهة المشروع الصهيوني والاستكباري، بل الجهاد والمقاومة – مهما ضعفت الإمكانيات – هي الطريق الوحيد ليس للنصر فقط بل لمجرد النجاة أيضًا، لأن تكاليف الخضوع أكبر بكثير من تكاليف المواجهة على كل مستوى، ولعل تتبع مسيرة الصمود لحزب الله في محطاتها الرئيسية ما يؤكد كل ذلك، ظهر حزب الله إذن والمقاومة الإسلامية اللبنانية من خلال الرفض الشعبي والمقاومة الشعبية للاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، وكانت عمليات حزب الله الأولى سرية، ولا يعلن الحزب عن الجهة التي نفذتها لأسباب تكتيكية، ومنها في

١١/ ١١/ ١٩٨٢ إحدى عملياته المهمة وهي العملية الاستشهادية التي نفذها الشهيد أحمد قصير عندما اقتحم بسيارة مفخخة مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي في مدينة صور، وأسفرت عن هدم المبنى تمامًا وسقوط ٢٥٠ إسرائيليًا بين قتيل وجريح، وظلت هذه العملية سرية لم يعلن عنها الحزب لمدة ثلاث سنوات، وفي خلال هذه الثلاث سنوات نفذ الحزب العديد من العمليات ضد الاحتلال الصهيوني للجنوب اللبناني مما اضطر إسرائيل إلى الانسحاب من ثلث الأراضي التي احتلتها منذ عام ١٩٨٢ وبعد عام ١٩٨٥ حدث تطور نوعي في الأداء التنظيمي والسياسي لحزب الله، وتعرض الحزب لعدد من الاعتداءات الإسرائيلية، كما تعرض لبنان للعديد من الاعتداءات عام ١٩٩٣، ١٩٩٦ في محاولة للقضاء على الحزب دون جدوى، وكان العدو يستهدف دائمًا ضرب الأهالي الآمنين والمدنيين حتى يحدث فجوة بين الجماهير وبين الحزب، ولكن كل ذلك لم يؤد إلا إلى المزيد من التلاحم بين الحزب والجماهير.. ونلاحظ في الأداء السياسي والعسكري لحزب الله أنه أولاً خرج من رحم الفقراء وإليهم انحاز ومنهم حشد جنوده، وهو بهذا طليعة للمستضعفين والفقراء والمحررين مما أعطاه جماهيريًا منقطع النظير، وأن قيادته هم علماء الإسلام وهم القيادة الطبيعية للأمة، وأنه حرص على تحديد هدفه فلم يقاتل سوى إسرائيل الهيمنة الغربية، ولم يتورط مثل غيره من الحركات الإسلامية في صدام داخلي لا يستفيد منه إلا الأعداء، ونذكر هنا أن حزب الله وجه نداءات للحركات الإسلامية المصرية بوقف الصدام الداخلي مع السلطة المصرية والتركيز على ضرب الأهداف الإسرائيلية، كما نلاحظ أن هناك انخراطًا واسعًا من النساء في العمل السياسي والعسكري لحزب الله، وهذا يحل الكثير من الإشكاليات التي وقعت فيها الحركات الإسلامية الأخرى فضلاً عن تلبية حقيقة شرعية وهي ضرورة مشاركة المرأة المسلمة في الجهاد عندما تُغتصب أرض إسلامية ولو بدون إذن زوجها أو والدها، كما أنه بذلك وضع الطريق الصحيح لتحرير المرأة، لأنه لا تحرير للمرأة إلا بتحرير مجتمعها وأرضها والدفاع عن دينها وثوابتها..

***

تحليل مضمون الخطاب الأيديولوجي لحزب الله

الخطاب الأيديولوجي لحزب الله أوسع من أن يُحاط بـه في دراسـة أو كتـاب أو عدة كتب، وهـو خطـاب يسـتند إلى لإسـلام أي إلى الكتـاب والسـنة وسـيرة الأئمـة والصالحين ومجمل الممارسات الحضارية الإسـلامية، وهـو يسـتوعب بالضـرورة أطروحـات واجتهـادات المفكـرين الإسـلاميين المعاصـرين بمختلـف انتمـاءاتهم وتوجهاتهم. ولكن في المقابل يتميز بخصوصية خاصـة في إطـار التركيـز عـلى قضـية التحرر الوطني من ناحية، والعمل كطليعة لكل الأمة بكل طوائفها وفئاتها، بل ويقدم الإسلام كأيديولوجية للفقراء عمومًا للانعتاق من الهيمنة الاستكبارية العالمية ومـن خلال بعض كلمات الشهيد عبـاس الموسـوي نسـتطيع أن نحـدد المضـمون العـام للخطاب الأيديولوجي لحزب الله..

ففي الكلمة التي ألقاها في مدينة بعلبك احتفالاً بـالمحرَّرين مـن سـجون العـدو الصهيوني بتاريخ ٤ رمضان ١٤٠٥ هـ قال الشهيد:

«إننا نتساءل ماذا استفدنا من تقديم ١٠٠ ألـف قتيـل في حـرب طائفيـة تفريقيـة، نقول للإخوة في بيروت بحق الله علـيكم، بحـق رسـول الله، وبحـث المجاهـدين في الجنوب، وبحق الشهداء أن توقفوا النزف الداخلي، يجب عليكم أن توجهوا بنادقكم إلى العدو الذي لا يزال يرابط على حدود المسلمين، إسرائيل وضعت رؤوسًـا نوويـة في الجولان من أجل قتل المسلمين، ونحن نقاتل بعضنا بعضًا، يجـب أن نـتعلم مـن سجناء أنصار كيف توجه البندقية، إسـرائيل هـي العـدو الأول الأساسـي ولـيس أي واحد من المحليين، نحن اعتُدِيَ علينا كثيرًا وتحملنا أمريكا، وفرنسا اعتدتْ علينـا، ويجب أن يتحمل طرف على الساحة من الآخرين لتبقى البندقية متوجهـة إلى العـدو، فكما يتوجه المسلم إلى القِبلة الشريفة فالرصاص يجـب أن يتوجـه إلى صـدر العـدو فقط»..

ونلاحظ هنا ارتفاع الخطاب الأيـديولوجي لحـزب الله عـن الطائفيـة والاقتتـال الطائفي ورفضه لهذا الأمر، والدعوة إلى توحيـد الجهـود لمواجهـة العـدو الرئيسـي إسرائيل.. فالرصاص يجب أن يتوجه إلى صدور العدو فقط..

وفي كلمته التي ألقاها في مدينة جبشيت في ١٢ جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ قال الشهيد:

«إن الغرب استغل العلم من أجل تنفيذ مصالحه واستعباد الناس وقهرهم، والعلم في عصرنا الحاضر قدم لنا مظهرًا من مظاهر القوة في أيدي المستكبرين؛ فتحولت كل النظريات في الغرب إلى برامج لضرب واستغلال قدرات الشعوب المستضعفة»..

والشهيد هنا يحدد ملامح الهيمنة الغربية، ويقدم في الوقت نفسه حركته – والحركة الإسلامية عمومًا – كطليعة للمستضعفين في العالم في مواجهة الاستبكار الغربي الذي يستغل قدرات الشعوب المستضعفة..

وفي كلمة له في الضاحية «برج البراجنة» في ٣ ذي الحجة ١٤٠٦ هـ قال:

«إن مقاومة الآخرين في الغالب هي مقاومة سياسية حتى عملياتهم العسكرية دائمًا يجرونها لمسائلهم السياسية فقط، أما أبناء المقاومة الإسلامية فإنهم ينطلقون في مقاومتهم للعدو الإسرائيلي من التكليف الشرعي، إن المقاومة الإسلامية أسقطت ما يُسمى عسكريًا بالتوازن الاستراتيجي مع العدو الصهيوني، لأن المقاومة ترتبط بالله وبمبادئ الإسلام، ولهذا نعتبر أن إنجازًا كبيرًا قد تحقق على أيدي أبناء المقاومة الإسلامية من خلال نسفهم لتربية الضعف والاستكانة والاستسلام»..

والخيار هنا – أي خيار المقاومة – خيار استراتيجي، لا يخضع للمتغيرات السياسية، بل هو تكليف شرعي لا يتغير..

ويقول الشهيد أيضًا:

«إننا مطوقون من كل جانب، ويجب علينا ألا نرمي سلاحنا لأن الجزار يغريه منظر النعجة، أما الذئب فلا يفكر في الهجوم على الأسد، وإن لم تكونوا أسودًا حقيقيين فلا تفكروا بالوقوف على أقدامكم أبدًا» ذي الحجة ١٤٠٦ هـ..

ويقول: «يجب على الأمة أن تحدد أعداءها في الداخل والخارج لتكون على حذر

منهم، والقرآن يقول إن الخطر في الطواغيت الكبار ولكن يقول أيضًا بالحذر من المنافقين». كلمة في ١٠ ذي الحجة ١٤٠٦ هـ..

ويقول: «إن أبناء المقاومة الإسلامية بعملياتهم النوعية أرادوا أن يقولوا للأمة لماذا أنت نائمة وخائفة، لماذا لا تقومي في سبيل الله لتصبح الكلمة واحدة هي لا إله إلا الله، ونحن اليوم نوجه خطابنا للجميع ونقول لهم ابرزوا قوتكم في وجه العدو الإسرائيلي، تعالوا معنا نقاتل سويًا جنبًا إلى جنب وسلاحًا إلى سلاح وسترونا نقبل أيديكم، نقبل أيدي كل المجاهدين وأفواه كل البنادق التي توجه إلى العدو الصهيوني»..

كلمة للشهيد - ١٥ محرم ١٤٠٧ هـ.

أربعة أيام في بيروت

اقتراب إنساني من رجال حزب الله:

هذه تجربة اقتراب وتعايش إنساني مع رجال وعناصر حزب الله واحتكاك مباشر بهم، ولقاء مع حسن نصر الله الأمين العام للحزب، وذلك قبل تحقيق الانتصار واندحار القوات الإسرائيلية وانسحابها، وبالتحديد في الفترة من ٢٧/ ٧/ حتى ٣١/ ٧/ ١٩٩٨، وفي تلك التجربة إحساس كبير بقرب الانتصار وببزوغ الفجر الجديد من قلب الجنوب..

من الجنوب الصامد يخرج الفجر الجديد

تلك الأيام الأربعة التي قضيتها في الجنوب اللبناني وبيروت والبقاع ليست كغيرها من أيام حياتي، ذلك أن الحياة على وهج المقاومة له طعم آخر إنه طعم الحياة الحقيقة..

الحياة مع المجاهدين الصامدين الصابرين لها طعم الياسمين والريحان والقرنفل، بل هي طعم الفجر الآتي.

ويستطيع أن يؤرخ لحياته ما قبل رؤية المقاومة بالعين والتعاطي المباشر مع

أهلها وما بعد ذلك. إنها نقطة مفصلية في الحياة أن تعيش أجواء الجهاد والاستشهاد وترى الرموز وتستمع إلى تجارب المجاهدين وقصص الشهداء.

والحقيقة أنني طالما كتبت عشرات بل مئات المرات عن المقاومة في كتب أو مقالات أو ألقيت المحاضرات عن المقاومة وفضلها في استنهاض الأمة، ولكن بعد الرؤية يحس الإنسان بالعجز بل يتوقف القلم الذي طالما كان مدرارًا سيالاً بالكتابة عن الإحساس بعظمة هذه المقاومة لدرجة تقطع الأنفاس.

كانت مفاجأة لي حينما التقيت بالدكتور أحمد مللي (أبو راغب) في مكتبه في اليوم الأول للزيارة في المركز الثقافي بالضاحية الجنوبية.. قال لي مرحبًا بالرجل صاحب النبوءة التي تحققت، فقلت له أية نبوءة، قال لي: إن الدكتور فتحي الشقاقي رحمه الله كان قد نقل له أنك توقعت أن تكون لبنان وبالتحديد الجنوب هو من يحمل راية المقاومة الحقيقية ضد إسرائيل، ويفتح فجر العالمية الإسلامية الثانية.. وكنت بالفعل قد نسيت هذا الكلام الذي ربما مرَّ عليه الآن أكثر من عشرين عامًا..

ولكن على كل حال فإن نبوءة نبتت في غرفة المناقشات لا قيمة لها أمام الذين دفعوا الدم وأعطوا الأمة لحظة عزٍّ غير مسبوقة..

كان علينا أن نرحل أنا والدكتور رفعت سيد أحمد إلى الجنوب وصباح الخميس ٣٠/ ٧/ ١٩٩٨.. وانطلقت بنا السيارة يقودها ذلك الشاب الظريف الذي تحبه بمجرد أن تراه والمُكنَّى «أبو عباس» رغم أنه ليس له أولاد بهذا الاسم، بل له ثلاثة أبناء آخرين منهم حسين والزهراء، وقلت له إذن أنت أبو حسين وليس أبو عباس، فقال الحقيقة أنني متمسك باسم «أبو عباس» حتى إذا أخطأ أبو عباس قلت ما ذنب «أبو حسين»؟..

وكان يرافقنا أيضًا الأستاذ نديم طاهر، وهو رجل يثير الاحترام بشدة وإن كان يحب الكلام بكثرة، المهم وصلت إلى «صيدا»، حيث رافقتنا حراسة إلى الجنوب، وفي الطريق من «صيدا» إلى «صور» وقفنا لقراءة الفاتحة على قبر الشهيد عباس الموسوي الذي استشهد مع زوجته وابنه في مكان بين صيدا وصور وهناك نصب

تذكاري له، وكان السيد عباس الموسوي هو مؤسس حزب الله وحركة المقاومة الإسلامية ضد إسرائيل في لبنان، ومعنى أن يستشهد هذا المؤسس والأمين العام برصاص الطيران الإسرائيلي لدى رجوعه من حفل تأبين مؤسس آخر من مؤسسي الحركة وهو الشهيد راغب حرب، ومعنى أن يستشهد الأمين العام للحركة أن هذه الحركة يقاتل فيها القيادات، ولا يكتفون بالجلوس في الغرف المكيفة، ومعنى هذا أنها حركة لن تُهزم بإذن الله، لأنه لا تموت حركة يستشهد أمينها العام وزوجته وابنه، وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر فإن الأمين العام الحالي لحزب الله السيد حسن نصر الله قد استشهد ابنه هادي نصر الله في أحد المعارك مع العدو الصهيوني، وهكذا يقدم القواد أبناءهم ولا يدخرون للمستقبل كما يقول سماحة السيد حسن نصر الله، وبالتالي فإن الأمر ليس مجرد ظاهرة فردية بل هو سلوك مستمر وتقليدي لدى هذه الحركة.

أكثر من هذا أنني عرفت أن الجميع بما فيهم المسئولين السياسيين والمدنيين في حزب الله يذهبون إلى المواقع ويقاتلون أو يقومون بالحراسة لمدد معينة ثم يعودون إلى مسئولياتهم المدينة أو السياسية، لأن هذا الحزب يضرب المثل على أن الجهاد هو الذي يفجر الوعي ويؤدي بالإنسان إلى الرقي والكفاءة السياسية والمدنية وليس العسكرية وحدها..

وصلنا إلى صور واستقبلنا مجاهد كبير ومعروف، وله زمن طويل في الجهاد ضد إسرائيل.. إنه مسئول المقاومة في الجنوب الشيخ نبيل فاروق الذي يبهرك بوعيه السياسي وبساطته وتكلم الرجل عن تحليله للمرحلة بصورة تعطيك الانطباع بأنك أمام محلل سياسي من الطراز الأول، فضلاً عن قائد ميداني دوَّخ إسرائيل ومطلوب رأسه كل يوم.

كان الجو جميلاً ومرحًا على مائدة من السمك الطازج الذي تشتهر به صور، وكان هناك قتال قد اندلع بين المقاومة والقوات الإسرائيلية في قطاع قريب من صور، وانشغل الرجل عنا بمتابعة ما يحدث، ثم اعتذر لنا عن مرافقتنا إلى الندوة التي عقدت في مكان آخر في صور، حيث التقينا بأهل الجنوب، وألقى كل من الدكتور رفعت سيد

أحمد والأستاذ محمد فنيش نائب البرلمان وأنا كلمات في الحضور، وكان من المفروض أن يحاضرنا أهل الجنوب الصامد لا أن نحاضرهم نحن، لأن القاعدين عادة يتعلمون من المجاهدين.. كانت أجزاء الندوة حارَّة..

وكان فرح كبير من أهل الجنوب أن مصر تحس بهم، بل هي الحقيقة تعتز بهم، فمصر ليست كامب ديفيد بل هي سليمان خاطر، وأيمن حسن، وسيد نصير. ومع العودة في المساء صمَّمنا على أن نرى قرية «أنصارية» تلك القرية التي شهدت لحظة عزٍّ غير مسبوقة للأمة، حيث استطاعت المقاومة أن تضرب مثلاً في إمكانية هزيمة أقوى الأسلحة الإسرائيلية.. ففي أحد البساتين دارت معركة استطاعت قوات المقاومة أن تقتل ١٢ إسرائيليًا من أفضل العناصر الإسرائيلية، بل هي أكثر العناصر العسكرية الإسرائيلية تدريبًا، ويتكلف تدريب الفرد من هذه المجموعة الإسرائيلية أكثر من ٥ مليون دولار حتى يصبح عنصرًا من عناصر تلك القوة، وتدعي إسرائيل أن الفرد من هذه القوة قادر على هزيمة كتيبة بأكملها، ولكن الآن تستطيع أن تقول أن فردًا واحدًا من المقاومة استطاع أن يهزم مجموعة كاملة من هذه القوة، وهذا يثبت من جديد أن الإنسان أقوى من التكنولوجيا وأن المقاومة أسقطت أسطورة إسرائيل التي لا تُقهر بل حولتها إلى أسطورة إسرائيل المذعورة، أخذنا نتأمل الأرض والمكان والأشجار المحترقة التي نبتت في جذوعها فروع أخرى خضراء.. في إشارة إلى الخير الذي يتحدى الشر والحياة التي تتحدى الموت ثم التقط أحدهم قطعة من القماش، وكانت من ملابس جندي إسرائيلي، فأخذها الدكتور رفعت سيد أحمد ليحتفظ بها كتذكار قائلاً ربما أبادلها بأسير أو أكثر في يوم ما، وبمناسبة مسألة تبادل الأسرَى التي تمت مؤخرًا حيث استطاع حزب الله أن يفرج عن ٦٠ أسيرًا لبنانيًا من جميع الاتجاهات والطوائف، مقابل رفات الجنود الإسرائيليين، ألا يعطينا هذا الإشارة بأنه حتى الإفراج عن الأسرى لا يتم بالاتفاقيات، بل بالقتال، ومن المعروف أنه لا يزال في السجون الإسرائيلية الكثيرين من حماس والجهاد الإسلامي لم يستطع ياسر عرفات أن يفرج عنهم وفقًا لاتفاقية أوسلو!

عودة إلى بيروت، ولقاء سماحة السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله،

هذا الرجل المجاهد البسيط الذي يتسرب إلى مسام جلدك كالعطر، وللمفاجأة فإن الرجل لا يزال شابًا يبلغ ٣٨ عامًا وهو الأمين العام للحزب منذ خمس سنوات، وقارن هذا برؤساء الأحزاب عندنا هم جميعًا فوق السبعين!.

والحقيقة أن كل قيادات حزب الله شباب في بواكير العمر، وهذه خصوصية لهذا الحزب، وربما أحد أسباب نجاحه، فالجميع شباب الروح والقلب والعمر أيضًا، والأمين العام سماحة السيد حسن نصر استقبلنا ببشاشة وترحاب وأشاد بشعب مصر وتاريخها، وقال أنه أصدر بيانًا استنكر فيه حادث الأقصر، وأنه لا يوافق على القتال بين أبناء البلد الواحد، بل القتال يجب أن يتوجه إلى إسرائيل، ثم طمأننا الرجل أن آلية المقاومة لن تتوقف، حتى ولو انسحبت إسرائيل من جنوب لبنان، لأن هناك ٧ قرى لبنانية محتلة منذ ١٩٤٨، سوف يجعلها ورقة يستند إليها في استمرار القتال ضد إسرائيل – وأنه يحتفظ بهذه الورقة كاحتياطيٍّ يستخدمها عند اللزوم.

وعندما تكلمت مع سماحة السيد الأمين العام، حمَّلته الأمانة، أمانة المسلمين والمستضعفين، ألا يقع في مستنقع التفاوض وألا يكف عن خيار المقاومة، حتى ولو تم قتل كل عناصر الحزب، لأن الحزب أصبح نموذجًا، ولا ينبغي إهالة التراب على النموذج، وأن المقصود إسرائيليًا وأمريكيًا الآن ليس ذبح حزب الله فقط، بل ضرب النموذج الذي قدمه حزب الله ويمكن أن يكون مثالاً يُحتذى في هذا المكان أو ذاك، داخل أو خارج لبنان، اليوم أو غدًا، وقد وعد الرجل أن يظل وفيًا لخيار المقاومة حتى تحرير كامل التراب الفلسطيني من النهر إلى البحر ومن الجنوب إلى الجنوب.

كان لنا لقاءٌ آخر في البقاع الغربي، حيث المعارك المتواصلة والمستمرة مع العدو الصهيوني، وحيث التاريخ القريب المفعم بقصص البطولة والاستشهاد، واستقبلنا مسئول حزب الله بالبقاع الحاج أحمد قمر وفاجأنا بأنه استضافنا على الغداء في مطعم على بحيرة جميلة (بحيرة قرعون) وأن المطعم ملك لشخص مسيحي، وأضاف أنه يحرص على علاقات جيدة مع الجميع سُنة وشيعة ودروزًا ومسيحيين، وأن حزب الله ضرب المثل في البقاع في الارتفاع على الطائفية، وأن الجميع في المنطقة سُنة وشيعة ودروز ومسيحيين يعتبرون أنفسهم سندًا لحزب الله في مقاومته ضد الاحتلال

الإسرائيلي، وكان الرجل صادقًا، فقد لاحظنا أثناء الندوة التي نظمت لنا في بلدة «سحمر» أن الحضور الكثيف جدًا، كان به الكثيرون من المسيحيين والدروز والسُنة والشيعة، بل كان هناك الوزير المسيحي روبير غانم، والمفكر المسيحي جورج جيور، وهكذا رأينا على الأرض كيف يكون الحزب الإسلامي حزبًا ولا طائفيًا.

الرحلة مفعمة بالرموز والأسماء، الأستاذ أبو طه ذلك المثقف والكاتب الوديع الذي جمعتني به أمسيات من المناقشة بعد العودة من الندوات، واكتشفت فيه مشروع مفكر لامع، وكذلك هناك الحاج حسين مدير تليفزيون المنار، وهي قناة تليفزيونية تابعة لحزب الله استطاعت أن تجبر الجميع داخل وخارج لبنان على احترامها، وأن تقدم إعلامًا متميزًا بل أن تصبح هي وإذاعة النور هدفًا استراتيجيًا للقصف الإسرائيلي، وكذلك السيد إبراهيم الموسوي المحاور الذي أدار معنا حوارًا تليفزيونيًا ساخنًا كشف فيه عن إلمامه وثقافته الرفيعة، وضرب المثل في كيفية إدارة الحوار، وأيضًا لا أنسى الأستاذة رباب الحسن مذيعة إذاعة النور التي قامت بدورها بإدارة حوار خصب وخلاَّق، تكتشف فيه مدى مساهمة المرأة في مسئوليات المقاومة، ومدى ذكاء المرأة وتألقها وجدارتها، والمرأة التي هي نتاج حالة المقاومة، وليست المنفصلة عن هموم أمتها، أوالمرددة كالببغاء لأراجيف الغرب وقيمته وسلوكه. حقًا إن الجهاد هو مفجر الوعي والتقوى والنهضة.

هزيمة الآلة العسكرية الإسرائيلية في لبنان وآثارها على البنيان العربي

لا يختلف اثنان – من الأعداء أو الأصدقاء – أو حتى من الإسرائيليين أنفسهم على أن الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان هو هزيمة كاملة لآلة الحرب الإسرائيلية، وهو انتصار لبناني وعربي يدعو إلى الفخر والزهو والتأمل.

ولا شك أن هذا الانتصار اللبناني والعربي على آلة الحرب العسكرية الإسرائيلية في جنوب لبنان كانت وستكون له آثار مهمة، على المستويين الاستراتيجي والتكتيكي، على البنيان العربي وعلى القضايا الداخلية والخارجية على حد سواء..

بداية فإن الانسحاب الإسرائيلي بعد ٢٢ عامًا من الاحتلال هو فرار إسرائيلي في

مواجهة قوة أقل منها عددًا وعدة، وقد جاء هذا الفرار بسبب عدم قدرة إسرائيل على تحمل هذا القدر من الخسائر الذي تسببه لها المقاومة الإسلامية في لبنان، بسبب عملياتها الجريئة والمتميزة، ولم تنسحب إسرائيل بالطبع إيمانًا بالسلام أو تطبيقًا لقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، أو بسبب الضغوط الدولية والإقليمية فكل هذا – في هذا الوقت – كان ولا يزال يصب في عكس اتجاه الانسحاب..

وأيضًا فإن تفسير الانسحاب الإسرائيلي على أنه محاولة إسرائيلية لنزع ورقة تفاوضية مهمة من سوريا، وهو محاولة إسرائيلية إعلامية لنزع وتعطيل تراكمات الثقة بالنفس والزهو واستخلاص الدلالات من نجاح مقاومة صغيرة عددًا وعدة في هزيمة أقوى جيوش المنطقة، بل وآلة عسكرية واستخباراتية ضخمة على مستوى إسرائيل بل ومن يدعم إسرائيل استخباراتيًا وسياسيًا واقتصاديًا..

ولعل تلك الدلالة من الأهمية بحيث أنها سوف تتعرض لحملات إعلامية ضخمة في محاولة سحبها من المفاهيم، هذه الدلالة مرة أخرى هي أنه بالإرادة والعزم والتصحيح يمكن هزيمة إسرائيل، وأن الإنسان أقوى من التكنولوجيا، وأن الحديث عن قوة إسرائيل وعدم القدرة على مواجهتها حديث لم يعد له مصداقية، وهذا يعني إمكانية تكرار التجربة في زمان ومكان آخر – وهو ما يعني من وجهة نظرنا – أن بداية النهاية لدولة إسرائيل قد بدأت ملامحها..

آثار الهزيمة الإسرائيلية أكثر من أن تُحصى ولعلنا نشير إلى بعض منها، فمثلاً ثبت يقينًا أن إسرائيل لا تفهم غير لغة واحدة وهي لغة القوة، وقارن هنا بين الوضع على الجنوب اللبناني والوضع بخصوص المسار الفلسطيني!!.. وأن الأمة لا تزال بها خلايا حية قادرة على إنزال الهزيمة بالعدو، وهذه الخلايا قادرة على تجديد شباب الأمة وإيقاظها من نومها وإنهاضها من كبوتها، ولعل منظر الجندي الإسرائيلي المذعور والخائف أمام رجال المقاومة الإسلامية كفيل بإعطائنا لحظة عز غير مسبوقة ونقطة ضوء في النفق المظلم، وهي أيضًا التي تسببت في الضغط على التماسك الاجتماعي الإسرائيلي وفجرت في الداخل الإسرائيلي حركات وأوضاعًا وأمورًا تعبر عن التردي النفسي على عكس ما كان يحدث دائمًا على الجانبين العربي

والإسرائيلي..

ومن الآثار المهمة جدًا لتجربة المقاومة الإسلامية اللبنانية هي إنها نسفت - نسفًا - منطق دعاة التطبيع، حيث إن القاعدة الأساسية لدعاة التطبيع هي أنه مادام ميزان القوى العسكري والسياسي مختل تمامًا لصالح إسرائيل، وأنه لا فرصة هناك لاسترداد الحقوق عن طريق القوة، فلا مناص بالرضا بالقدر المتاح عن طريق إقناع الإسرائيليين والتفاوض معهم وإقامة حوار مع دعاة السلام في إسرائيل للضغط على إسرائيل بالسلام والتطبيع لانتزاع بعض الحقوق، ومع المغالطات الكثيرة في هذا المنطق، فإن تجربة المقاومة نسفته من أساسه، حيث إن التجربة تقول إنه بالإمكان هزيمة إسرائيل، وإن هناك طرقًا ووسائل ليست بالضرورة الحرب النظامية يمكن من خلالها إنزال هزيمة عسكرية بإسرائيل، المقاومة الشعبية مثلاً، ولعل اكتشاف السلاح العربي الرهيب، وهو سلاح الاستشهاد والذي تم اكتشافه أو قُل إعادة استخدامه بعد قرون طويلة، والذي أثبت أنه قادر على هزيمة أي قوة مهما كانت، وأي جبروت مهما علا وطغَى وتكبَّر، هذا الاكتشاف أعاد ميزان القوى لطبيعته وأصبح بالإمكان الحديث الآن عن قدرة ١٢٠ رجلاً فقط على هزيمة إسرائيل بالكامل وتحرير كامل التراب الفلسطيني من البحر إلى البحر ومن الجنوب إلى الجنوب، على أساس أن عملية استشهادية واحدة كل شهر لمدة عشر سنوات كافية لإجبار الإسرائيليين على الهرب من فلسطين كلها، لأن اليهود كما نعلم «أحرص الناس على الحياة»..

وفي الحقيقة فإن الانتصار اللبناني على إسرائيل، بما سيتركه من آثار نفسية على العرب سوف يدفع بالضرورة في اتجاه التقدم الصناعي والزراعي والاقتصادي والحضاري عمومًا لأن مناخ الثقة بالنفس سيؤثر بالضرورة على سلوك العربي إيجابيًا، ولعل هذا هو مناط تفسير الآية الكريمة:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ وهي تؤكد على جدلية الجهاد والوعي والنهضة، بل أكثر من هذا سوف يحدث نوع من الانفراج السياسي في الدول العربية

على مستوى احترام حقوق الإنسان وتوسيع الهامش المتاح من الحرية، بل أيضًا في قريب الفجوة بين مختلف القوى السياسية، بل الحكومات والمعارضة السرية والعلنية ولعلنا لا نضيف جديدًا إذا قلنا إن مبادرة وقف العنف التي أطلقها القادة التاريخيون لحركات العنف في مصر، كانت في جزء منها نوعًا من الاستجابة لما تركه الجهاد المتميز لحزب الله والمقاومة الإسلامية في لبنان من تراكمات سياسية وتراكمات وعي، ولفت نظر الإسلاميين في كل مكان إلى جوهر المعركة، وأيضًا ما حققته تلك المقاومة من شعبية وسمعة عالية في الشارع العربي كان عاملاً ضاغطًا للحركات الأخرى في اتجاه الإقتداء بها أو الاستفادة من تجربتها..

بل لعلني لا أكون مبالغًا إذا قلت إن تجربة المقاومة الإسلامية في لبنان كان سببًا مهمًا من أسباب التقارب العربي الإيراني، وإزالة كثير من الجفوة وسوء الفهم المتبادل بين الطرفين..

والمهم الآن ألا يتم سحب كل هذه التراكمات عن طريق الحروب النفسية، فنخسر بالغباء والدعاية السوداء ما كسبناه بسواعد الشباب المجاهد..

حوار مع الشيخ نصر الله زعيم حزب الله

قبل أعوام سألت الأمين العام لـ (حزب الله) السيد حسن نصر الله عن شعوره وهو يرسل هؤلاء الشبان إلى الموت فأجابني (صدقني إنهم يتسابقون لإدراج أسمائهم في لوائح العمليات الجهادية والاستشهادية.. إنهم لا يذهبون إلى الموت، يذهبون إلى النصر ودماؤهم لن تضيع) تذكرت ذلك الكلام حين التقيت السيد نصر الله مجددًا قبل أيام وفي المكان نفسه ضاحية بيروت الجنوبية، ذهبوا إلى النصر فعلاً وسيتردد دوي هذا الانتصار في ساحات قريبة وبعيدة، وسيكون لهذا الانتصار ثماره ومفاعيله وانعكاساته في لبنان، لم تنته رحلة (حزب الله) مع ارتفاع علَمِهِ على الحدود اللبنانية الإسرائيلية، وسيتردد اسمه واسم زعيمه كثيرًا وطويلاً، ففي زمن تآكل الأحزاب يرجع (حزب الله) من انتصاره حزبًا قويًا مسلحًا بإنجازه وعلاقته بالناس في المياه التي يسبح فيها. وفي زمن لبناني توقف عن إنجاب الزعامات والأقطاب والقامات يطل حسن نصر الله في صورة الزعيم الواثق، ويفسح الآخرون مكانًا لمن

يسلمون اليوم بأنه (لاعب كبير وخطير) ويشرحون، (كبير لأنه حقق إنجازًا غير مسبوق، وخطير لأنه يجيد القراءة ويجيد التشدد والمرونة معًا، ولأنه يجيد السبر بين الألغام).

سألناه عن النصر وصانعيه ومصير المقاومة وسلاحها فلمعت عيناه وهو يتذكر الشهداء الذين فاتتهم فرصة الاحتفال بنصر صنعوه، قال إن أكبر عملية تأسيسية لـ(حزب الله) كانت عملية استشهادية نفذها أحمد قُصير حين فجَّر مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور (١١ تشرين الثاني –نوفمبر ١٩٨٢) موقعًا ٨٥ قتيلاً في صفوف العسكريين الإسرائيليين، وأضاف أن تلك العملية كانت أول عملية استشهادية من حيث الشكل والمضمون، وكانت قدرتها الاستنهاضية مهمة جدًا، إذ أعطت أملاً ومعنويات كبيرة للمقاومة ومشروعها، وأوضح أن (حزب الله) تعمد حينها عدم إعلان مسؤوليته لأسباب أمنية.

أصبح الجنوب اللبناني في قبضة المقاومة وأصبحت قواتكم على الحدود مع إسرائيل، كيف ستتعاملون مع الدولة العبرية من الآن فصاعدًا، علمًا بأن قضية «مزارع شبعا» غير محسومة من وجهة نظر مجلس الأمن؟

نحن نعتبر أن هناك انتصارًا كبيرًا تحقق بعودة جزء كبير من الأرض اللبنانية، لكن طالما أن منطقة مزارع شبعا مازالت تحت الاحتلال، فنحن لا نعتبر ما حصل انسحابًا كاملاً، فالأمور ليست كذلك، وهذا يعني أننا سنتابع جهادنا لتحرير هذه الأرض المحتلة، وليس مهمًا ماذا يعتبرها مجلس الأمن الدولي؟ المهم أن لبنان يعتبرها أرضًا لبنانية وهذه ليست أرضًا متنازعًا عليها، وإذا كانت هناك دعوى إسرائيلية بأن هذه الأرض لسورية فسورية تقول إن هذه الأرض لبنانية، وهي حاضرة أن توقع على ذلك وتقدم كل الوثائق لتؤكد.. إذن في الحقيقة هناك جزء كبير من الأرض اللبنانية تم تحريره، ولكن هناك جزء آخر لم يُحرَّر، وبالتالي فإن قضية المقاومة مازالت قائمة.

هل أنتم على استعداد لتسليم الدولة اللبنانية مسؤوليات الأمن في القرى

المحررة، أم ستكون هذه القرى منطلقًا لعمليات لاحقة ضد إسرائيل؟

بمعزل عن مستقبل عمليات المقاومة في هذه المنطقة فنحن لا نريد أن نتحمل مسؤوليات أمنية فيها، ولسنا سلطة أمنية، ولم نكن سلطة أمنية في أي يوم من الأيام في لبنان، ولسنا بديلاً عن الدولة، ومن الطبيعي أن تتحمل الدولة المسؤولية الأمنية، هل ترسل الدولة الجيش اللبناني أو قوى الأمن الداخلي؟ وكيف تحافظ على الأمن في هذه المنطقة فهذه مسؤوليتها.

بعد انهيار (جيش لبنان الجنوبي) أي ضمانات ستقدمون للمدنيين هناك بمختلف طوائفهم).

نحن أعلنا منذ مدة طويلة أن سكان المنطقة المحتلة هم أهلنا وإخواننا، وأكدنا ذلك في أكثر من مناسبة، وكانت هناك اتصالات مباشرة مع فعاليات هذه المنطقة، والتقينا عددًا كبيرًا من سكان هذه المنطقة وعلى كل حال هذه الأيام تشهد أن هذه المنطقة تحرر، ولم تحصل أية مشكلة مع السكان، بل كانت المقاومة موضع ترحيب السكان، ولم تحصل أية إشكالات وأعتقد أن الأمور ستكون على أفضل ما يرام، ونحن عمليًا تجاوزنا مرحلة تقديم الضمانات لأن الأمور في منطقة الشريط الحدودي انتهت لمصلحة هذا الشعب ولمصلحة عملية التحرير.

القوة الدولية معنية بالمحافظة على الاستقرار ومساعدة الدولة اللبنانية على بسط سلطتها،، كيف ستتعاملون مع هذه القوة؟

الأمر يتوقف على مهمة هذه القوات وأدائها، المهم أن تكون مهمة هذه القوات هي الدفاع عن المعتدَى عليه والمظلوم، وهو لبنان الذي تعرَّض منذ العام ١٩٤٨ إلى اعتداءات متكررة واحتلال أراضيه وارتكاب مجازر بحق شعبه، والمهمة والأداء هما اللذان سيحكمان علاقتنا بهذه القوات، ومن حيث المبدأ ليست لنا مشكلة مع قوات الطوارئ ونحن همنا الأساسي تحرير ما تبقى من أرضنا المحتلة.

بماذا شعرت لحظة انسحاب القوات الإسرائيلية وما هو مستقبل عناصر المقاومة بعد الانسحاب؟

بالتأكيد شعرت بالاعتزاز وهذا يوم كنا ننتظره بفارغ الصبر، وكنا على يقين من مجيئه، وكنا نعتقد بأنه سيكون قريبًا أكثر مما يعتقد العدو أو الصديق.

على المستوى العاطفي، أول ما حضر في ذهني ووجداني هم الشهداء الذين صنعت دماؤهم الزَّكية هذا النصر بالدرجة الأولى، والذين يجب أن نحفظ لهم هذا الفضل على لبنان وعلى الأمة بكاملها، وأن نكون أوفياء لدمائهم وللأهداف التي استُشهدوا من أجلها ونحن اليوم ننعم بالحرية والحياة الكريمة بفضل تضحياتهم العظيمة وفدائهم الكبير.

بالنسبة إلى عناصر المقاومة لم يحن الوقت بعد للحديث عن مستقبل هؤلاء الشباب، لأن المسائل لم تنته حتى الآن فمازالت هناك أراض لبنانية تحت الاحتلال، أعني مزارع شبعا، ومازال لبنان في دائرة التهديد وبحاجة إلى جهوزية هؤلاء الشباب ليحرروا بقية الأرض وليدافعوا عنه في مواجهة هذه التهديدات.

ماذا سيفعل (حزب الله) بعد المقاومة هل ينكفئ إلى الداخل اللبناني لرفع مطالب وشعارات إسلامية أسوة بالحركات الإسلامية الأخرى في العالم العربي؟ وهل يطالب بثمن لتضحياته أي بدور أكبر في الحياة السياسية اللبنانية؟

بمعزل عن مستقبل المقاومة فإن حزب الله له حضور سياسي كبير، وهو يتبنَّى قضايا الناس والفقراء والمستضعفين والعمال والمناطق المحرومة، ويهتم بكل شاردة وواردة في الحياة السياسية، بالتأكيد في الفترة المقبلة سيكون له اهتمام كبير وحضور أكبر من ناحية أخرى ونتيجة للنصر الذي تحقق، فمن الطبيعي أن يكون لهذه القوى التي صنعت هذا النصر دور وتأثير أهم في الحياة السياسية اللبنانية، وهذا ليس من قبيل الحصول على ثمن وإنما من قبيل ممارسة الدور الذي يحتاجه الوطن والمجتمع اللبناني.

من صنع هذا الانتصار؟

في الحقيقة لا تستطيع القول إن لهذا الانتصار صاحبًا واحدًا أو ننسبه إلى جهة محددة و حدها، لأن ذلك سيكون غير مُنصف وغير دقيق، هناك مجموعة عوامل

أدت إلى صنع هذا الانتصار، في طليعتها رأس الحربة المقاومة المسلحة لأن بقية العوامل تصنع في حال توافرها كلها صمودًا في لبنان ولكن ليس مقاومة.. المقاومة المسلحة أدت إلى استنزاف قوات الاحتلال وعملائها أولاً على المستوى البشري أي إلحاق أكبر عدد ممكن من الخسائر البشرية بصفوف قوات الاحتلال والعملاء.. وثانيًا الخسارة المعنوية التي لحقت بالاحتلال، وهي لا تقل أهمية عن الأولى عن لم تكن أهم، لأن قوة الجيش ترتبط بالدرجة الأولى بهيبته.. ما تعرض له الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان هو كسر لهذه الهيبة، وإسقاط لهذه الأسطورة إلى حد جعل صورة هذا الجيش في نظرنا مهينة وذليلة..

وهناك صمود الناس، واحتضانهم المقاومة سواء داخل الشريط الحدودي أم في خارجه، خصوصًا سكان البلدات الواقعة على خطوط المواجهة الذين نعترف بفضلهم الكبير، فقد تعرضوا يوميًا للقصف والغارات الجوية لكنهم صمدوا واحتضنوا المقاومة وتعاونوا معها، وأخلصوا لها وحافظوا عليها.. وكذلك الموقف الشعبي الذي كان يحتضن هذه المقاومة ويدعمها، ويساندها بالدماء والموقف الإعلامي والمال، وبتقديم فلذات الأكباد، وكذلك مشاهد عائلات الشهداء واعتزازها بالتضحيات.. ثم الموقف الرسمي اللبناني مع العهد الجديد والحكومة الجديدة وهو تطور كبير.. وهذا أكد أن رهان المقاومة وطني وحقيقي وكامل، وهو ما أسقط الرهان الإسرائيلي الدائم على الفتنة والإيقاع بين الدولة المقاومة..

وهناك سورية التي لا يستطيع أحد أن يتحدث عن النصر بمعزل عنها، لأنها ومنذ سنة ١٩٨٢ وقفت إلى جانب المقاومة وساندتها وحمتها وتعرضت بسبب ذلك لضغوط كبيرة جدًا كانت إحدى محطاتها الكبرى مؤتمر شرم الشيخ وصولاً إلى التطورات الأخيرة.. سورية كانت دائمًا إلى جانبنا وعندما أقول دعمت المقاومة وحمتها لا أقصد فقط إقليميًا بل أيضًا داخليًا.. إن مساندة سورية للمقاومة عامل أساسي في هذا النصر، ومن أهم العوامل التي كانت سورية تقف وراءها موضوع السلم الأهلي والأمن والاستقرار في لبنان، وهو ما أعطى فرصة أكبر كي يتوجه المقاتلون والمجاهدون ببنادقهم وعقولهم وقلوبهم إلى جبهة المواجهة مع المحتل..

فلو كانت الحرب الأهلية مشتعلة لما كانت عليه.. إذا هذا النصر لسورية أيضًا..

وعندما نتحدث عن النصر يجب أن نتحدث أيضًا عن الجمهورية الإسلامية في إيران، وهي وقفت منذ ١٩٨٢ إلى جانب المقاومة ودعمتها وساندتها وحمتها..

فحين نتحدث عن أصحاب لهذا النصر نتحدث عن المقاومة والشعب اللبناني والدولة اللبنانية وسورية والجمهورية الإسلامية في إيران كلهم شركاء.. وأختم من حيث بدأت.. فرأس الحربة كامن يستنزف العدو ويؤذيه وينزل به الخسائر التي أدت إلى تكوين رأي عام إسرائيلي ضاغط على حكومة العدو، إلى أن أصبح شعار الانسحاب من لبنان شعارًا انتخابيًا، يمكن أن يستقطب أعدادًا هائلة من الأصوات.. المقاومة المسلحة والمجاهدون والشهداء والأسرى والجرحى والمضحّون المباشرون الذين كانوا يقاتلون نيابة عن كل الشعب اللبناني وكل العرب وكل المسلحين هؤلاء أصحاب النصر. طبعًا حين أتكلم عن المقاومة لا أتحدث عن «حزب الله» وحده بل عن كل من قاتل.. نحن لا ندعي أننا وحدنا صناع هذا النصر وإن كنا نعتبر أن «حزب الله» ومقاومته هما من الصناع والأركان الأساسيين في إنجاز النصر..

هل استشهد في صفوف «حزب الله» مقاتلون غير لبنانيين؟

لا أذكر ذلك..

استفادت المقاومة من التفاف وطني واسع حولها.. هل تعتقد بأن «حزب الله» يملك التفويض اللازم والدعم نفسه للاستمرار في القتال من أجل مزارع شبعا؟.. علمًا أن إسرائيل ستكون أكثر قدرة على الإيذاء بعدما سحبت قواتها من جنوب لبنان؟

- أسمع لبنانيين يتحدثون عن موضوع السيادة ومسألة إبطال الإجماع الوطني حول المقاومة.. حين يبقى شبر تحت الاحتلال فهذا يعني أن السيادة منقوصة.. وعندما تكون هناك أرض لبنانية محتلة لا مبرر لتراجع الإجماع.. ثم أقول إن المقاومة حين انطلقت لم يكن هناك إجماع وطني حولها خصوصًا في ١٩٨٢ إذ كانت هناك

حرب أهلية ونزاعات داخلية عميقة جدًا.. الواقع أن الإجماع الوطني توافر في السنوات الأخيرة ولجزء منه علاقة بإثبات المقاومة جدواها وبأداء «حزب الله» السياسي وانفتاحه على القوى الأخرى..

هذا الموضوع مُعقد.. بالنسبة إلينا الإجماع الوطني أمر نحبه ونعتبره عنصر قوة أساسيًا، ولكن ليس سببًا لا لقيام المقاومة ولا لاستمرارها. قد يراهن أحدهم على أصوات في الداخل تخالف استمرار المقاومة.. هل سيؤدي ذلك إلى وقف المقاومة؟

الجواب هو لا.. بالنسبة إلى المقاومة هناك قضية واضحة وحاسمة قاتلت من أجلها، وكانت قلة وغريبة إلى أن جاء وقت وأصبح حولها التفاف وطني كبير.. قد يكون هناك من يخالف أو لا يوافق على استمرار المقاومة ستصبح معزولة شعبيًا ووطنيًا وسياسيًا..

من أين ستقاتل المقاومة لتحرير مزارع شبعا في حال انتشار القوة الدولية في المناطق التي انسحبت منها إسرائيل؟

هذه مشكلة ميدانية فنية وحلها سهل على المقاومة..

ومن سيتحمل المسئولية إذا نفذ باراك تهديداته وأحلق أذى فادحًا بلبنان بسبب عملية للمقاومة من أجل تحرير مزارع شبعا؟

السؤال هو: ما هي خيارات لبنان حين يعتبر أن هذه أرض لبنانية محتلة؟ هنا نعود إلى أسئلة العام ١٩٨٢ نفسها.. في عام ١٩٨٢ حين كان احتلال الإسرائيلي موجودًا كانت الأرض أوسع. وأذكر حين اقتحم الشهيد أحمد قصير مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور في عملية استشهادية، تحدث الإسرائيليون عن مقتل ٨٥ جنديًا، وأعلن مناحم بيجين الحداد ثلاثة أيام، أطلق يومها كلامًا بأن إسرائيل ستدمر لبنان لأنها لا تحتمل خسارة من هذا النوع وأن خيار المقاومة خيار مكلف ومجهد ومتعب.. الأسئلة نفسها ستطرح الآن.. هل تتصور أن يأتي باراك بهذه البساطة ويدمر ويفعل ما يشاء في البلد، أبهذا القدر الخيارات أمامنا مقفلة؟ لا ليس كذلك..

لكن الظروف مختلفة.. هناك فارق بين الاحتلال لمعظم الأراضي اللبنانية وما قالته إسرائيل بأنها تريد تطبيق القرار الدولي رقم ٤٢٥، بغض النظر عن احتقارها للقرارات الدولية، ألن تكون المعركة صعبة؟

لا شك في ذلك.. أنا لا أنفي صعوبة المعركة.. أصلاً أي معركة تحرير صعبة.. ألم تكن المقاومة في السنوات الماضية صعبة؟ لكنه من الواضح ، متى بدأنا نشعر أن هناك موقفًا عربيًا رسميًا متفهمًا وبعضه مؤيد؟ متى بدأنا نسمع كلمة طيبة؟ في السنتين الأخيرتين.. وتحديدًا بعد مجزرة «قانا».. ما هو عمر هذه السنوات من تاريخ المقاومة؟ لبنان كان وحيدًا منذ العام ١٩٨٢ إلى ما قبل نحو ثلاث سنوات أو أربع، ويتعرض للقصف والدمار والخراب وأرضه محتلة.. أسأل بطريقة أخرى: لو افترضنا أن الإسرائيلي خرج من كل الجنوب وبقي في «الناقورة» لا في مزارع شبعا، التي لا نقاش بلبنانيتها، هل نسكت نحن كمقاومة وشعب لبنان ودولته على بقاء قوات الاحتلال في الناقورة بحجة أن الإسرائيلي انسحب؟ ومن يتحمل الآن مسؤولية الخراب والدمار؟ ما الفرق بين مزارع شعبا والناقورة بالنسبة إلينا كلبنانيين؟ قد يكون هناك فارق من وجهة نظر الآخرين، أما من وجهة نظرنا فهذه أرضنا..

هناك انطباع بأن موضوع مزارع شبعا على رغم لبنانيتها قد يكون المبرر لاستمرار ربط لبنان بما تبقى من الشق العسكري من النزاع مع إسرائيل، وورقة في المواجهة الإسرائيلية – السورية..

اقتراحي هو انسحاب إسرائيل من مزارع شبعا أيضًا.. لا أعتقد بأن أحدًا تبقى لديه حجة بهذه الحيثية، عندما نقول لم تعد هناك أرض لبنانية محتلة.. والأمور في الاعتبار اللبناني أصبحت واضحة، وعندها إذا أراد أحد أن يقاتل إسرائيل لن يقاتلها بالاعتبار اللبناني بل سيتحدث بلغة ثانية، موضوع فلسطين أو غيره، يقاتل أو لا يقاتل.. تذهب الأمور إلى مكان آخر لكن في الموضوع اللبناني إذا كانوا يعتبرون هذه النقطة كذلك، أنا أقول بسيطة.. فمن خرج من كل جنوب لبنان يمكنه أن يخرج من مزارع شبعا..

نحن اللبنانيين نقول إنها أرض لبنانية، وسورية تقول هذه ليست أرضًا سورية بل لبنانية. والحمد لله أن مزارع شبعا ليست على حدود فلسطين ليأتي أبو عمار ويقول إنها فلسطينية.. هذه نحن مرتاحون منها. ولبنان وسورية يتفاهمان.. الحل الأفضل إذا كان هذا الموضوع بهذا القدر يحدث عقدة في مسألة الانسحاب الإسرائيلي ويُربك مجلس الأمن الدولي والأمم المتحدة ليخرجوا منها.. وعندما تقف حكومة العدو الإسرائيلي وتقول: هل هناك شبر من الأراضي اللبنانية احتلها؟ فيقول لبنان: لا.. وبذلك يكون هذا الموضوع منتهيًا..

هناك من يقول إن خروج إسرائيل الكامل من الأراضي اللبنانية سيفقد سورية ورقة الضغط الرئيسية في مفاوضاته مع إسرائيل؟

في النهاية بالنسبة إلى الإخوة السوريين.. صحيح أنهم مشوا في مسار لكن ثمة نقطة أساسية لديهم وهي أن الحل الذي يبحثون عنه يضمن لهم الحصول على كامل الأرض وكذلك حقهم في المياه وبسيادتهم. أما أن المقاومة كانت عاملاً مساعدًا فلا شك في ذلك.. من جملة الأسباب التي كانت دائمًا تدفع الإسرائيليين إلى طلب ود سورية والدولة اللبنانية أنها تريد ضمانات أمنية لها علاقة بشمالها.. الآن الإسرائيليون ينسحبون، ولكن لا ضمانات أمنية لديهم لا من لبنان ولا من سورية، ولا يزال انسحابهم تحت عنوان المغامرة.. هناك نقاش وسط المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، الانسحاب إذا كان كاملاً يعني أن واحدًا من المواضيع التي كانت دائمًا من الدوافع للحديث والتفاوض تراجعت نسبة أهميته بدرجة كبيرة دائمًا من الدوافع للحديث والتفاوض.. لا أقول انتهى لأن أحدًا لم يعط ضمانات أمنية، ولا أحد يعرف ماذا سيحصل على الحدود ولا لبنان في جو إرسال جيشه ونشره على الحدود ولو في المرحلة الأولى.. ممكن أن يحصل على أي شيء على الحدود من أي أحد.. لا أحد منا نحن اللبنانيين سيعمل حرس حدود.. وبالتالي ثمة مشكلة ستبقى قائمة.. حساسية هذا الموضوع تراجعت بدرجة كبيرة لكنها لم تنته.. على كل حال بالنسبة إلى الإخوة السوريين أظن أن نقاط قوة مهمة مازالت لديهم.. ووحدة المسارين مازالت قائمة لأن لبنان لن يوقع صلحًا ولا اتفاق سلام مع إسرائيل إذا لم يتم التوصل إلى

اتفاق سلام مع سورية كحكومات..

السلام الذي يتحدثون عنه، تسوية شاملة في المنقطة لا يمكن أن تحصل من دون لبنان وسورية والوضع الفلسطيني أموره واضحة، وهو يتجه تدريجيًا نحو الانفجار في شكل أو آخر، لأن الآن وقعت ساعة الحقيقة أن نكذب على الناس بأننا نتفاوض ونبحث، هذه تسع سنوات مرت وماذا بعد؟ ففي النهاية لإسرائيل وللولايات المتحدة مصلحة كاملة في إنجاز مشروع التسوية في المنطقة لأنه حتى هذه اللحظة يتم إنجازه بشروط إسرائيل وليس بشروط عربية، مصلحتهم أن يكملوا في هذا الاتجاه هذه نقطة الحاجة الأمريكية – الإسرائيلية ولا يمكن أن تتحقق من دون استرضاء سورية والصلح معها ومع لبنان لاحقًا، وبالتالي القول بأن سورية والصلح معها ومع لبنان لاحقًا، وبالتالي القول بأن سورية فقدت أهم أوراقها لا.. نعم أحد العوامل الأساسية التي كانت مساعدة يمكننا أن نقول أن أهميته تراجعت.

قيل ربما يذهب الفلسطينيون وينفذون عمليات، وأي شخص في البلد يعرف أن المخيمات مطوقة أمنيًا وأن هذا تهديد بورقة غير مقبولة، هل يطلق (حزب الله) النار على إسرائيل بعد انسحابها، لأسباب فلسطينية؟

بما فيها مزارع شبعا، بما فيها أي شيء يقول لبنان أنه أرضه. هل يطلق (حزب الله) النار على إسرائيل لأسباب فلسطينية؟

هذا لم يحن أوانه. هل يطلق (حزب الله) النار أم لا، وإذا كان سيطلق النار ما هي حيثياته واعتباراته ودوافعه، هذه كلها تُبحث لاحقًا.

لنفترض أن إسرائيل انسحبت من كل الأراضي اللبنانية بما فيها مزارع شبعا.. ما مصير أسلحة (حزب الله) وتركيبته الأمنية؟

.. لنقل أن دور المقاومة انتهى وعاد القول أن (حزب الله) تنظيم شيعي، ولبنان بلد متعدد بتركيبته، ووجود سلاح كثيف وخبرات قتالية وتركيبة أمنية لدى طرف تثير المخاوف، ما هو مستقبل سلاح (حزب الله) بعد انسحاب إسرائيلي كامل من جنوب لبنان؟

- هناك صورتان: مرة هناك انسحاب، كما هي الحال الآن ومرة هناك عملية تسوية في المنطقة.. القائم الآن هو الصورة الأولى (الانسحاب) وطالما أن هذا الانسحاب حصل من دون توافق مع لبنان وسورية أتحدث كتفصيل سياسي ولا أعطي رأيي بأنه يجب أن يكون هناك توافق..

أولاً انسحاب تحت غطاء التهديد اليومي أي إذا حصل شيء نقصف ونفعل.. حصل الانسحاب الكامل بما فيه من مزارع شبعا، سأفترض فرضية أن (حزب الله) لن يفعل شيئًا وأن العنصر الفلسطيني عولجت مشكلته أو ضرب بشكل حديدي وهذا غير متيسر الآن وأصبحت هناك حدود هادئة -أيضًا فرضية - إذا كان الإسرائيلي راسمًا مشروعًا ورأى أن المفاوضات مع سورية لا تتزحزح، ولديه ترتيب معين له علاقة بالمنطقة، من الذي يضمن أن لا يرمي متعامل مع إسرائيل شيئًا إلى الداخل، شمال فلسطين المحتلة وتستغل إسرائيل الحادث وتعتدى على لبنان وأذكر في اجتياح ١٩٨٢ كانت الحدود هادئة، وكان هناك اتفاق هدنة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، ولم تكن تُطلق طلقة نار أو صاروخ كاتيوشا أو عملية عسكرية، لقد جرت محاولة اغتيال السفير الإسرائيلي في لندن وهو لا يزال حيًا إلى الآن، فقامت إسرائيل باجتياح لبنان سنة ١٩٨٢، ودخلت العاصمة بيروت، هذا يعني أن لبنان مهدد في شكل يومي باعتداء إسرائيلي قد يحصل في لحظة يكون فيها الناس نائمين، ويحصل شيء في بلد من بلدان العالم وتحمل إسرائيل لبنان المسؤولية وتعتدي عليه.

ولبنان في ذلك الوقت يجب أن يدافع عن نفسه، وفي الدفاع عن نفسه يجب أن يستفيد من كل القوى المتوافرة لديه، وفي طليعتها المقاومة أي أريد أن أقول أنه طالما لبنان في دائرة التهديد الإسرائيلي اليومي يجب أن يحتفظ بالمقاومة ويجب أن يحافظ على جهوزية المقاومة وعلى سلاحها للتمكن من مواجهة هذا الخطر، وبالنسبة إلى الموضوع الطائفي هناك السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال، ويمكننا أن نجهز مقاومة من كل الطوائف، لتكون مستعدة لمواجهة خطر من هذا النوع.

هل مستقبل سلاح (حزب الله) له علاقة بالانسحاب الكامل، أم بالتسوية أم بزوال التهديدات...؟

بحد أدنى اسمه لبنان في دائرة التهديدات طالما إسرائيل تهدد لبنان كل يوم بالضرب والاعتداء والعقاب والحساب، من حق لبنان أن يحتفظ بكل عناصر القوة التي يمكن أن تواجه هذه التهديدات الإسرائيلية.

هناك من يتهم (حزب الله) بأنه يتحمل مسؤولية إسقاط بيريز؟

هو أسقط نفسه، وليس نحن من أسقطه، وجيدٌ إذا كنا أسقطناه نحن نفتخر بذلك.

هذا يعني أن (حزب الله) قد يحرك الجبهة لأسباب إقليمية؟

كل شيء ممكن في التحليل النظري تستطيع أن تقول ما تريده نظريًا. نظريًا كل شيء ممكن لكن عمليًا، يمكن إجراء محاكمة لأداء المقاومة الإسلامية منذ بدايتها في عام ١٩٨٢ إلى هذه اللحظة.. ثمة ظروف كثيرة مرت عليها ولو كانت تعمل حسابات إقليمية خارج هذا المشروع، لكانت كل يوم تقدر أن تهز المنطقة المحتلة، كل يوم.. إنها لا تفعل ولم تفعل ذلك حتى في أشد لحظات الغضب.

سورية تقول إن الباب غير مقفل، هل تعتقد أن ثمة إمكانية لاستئناف المفاوضات السورية – الإسرائيلية في الأسابيع المقبلة؟

الاحتمال قائم وإن كانت نسبته ضئيلة.

هناك تصور أن السلام آتٍ ولو تأخر سنة أو اثنتين.. ماذا سيكون شعورك حين يرتفع العلم الإسرائيلي فوق سفارة إسرائيل في بيروت، ماذا ستقول لـ (حزب الله) وللشهداء ولعائلاتهم؟

في الشق الأول لديَّ نقاش.. قد يحصل اتفاق يوم ذهبت الوفود إلى مدريد كان لنا موقف نتيجة لخلفيتنا العقائدية، من مجمل عملية التسوية، لكن حتى في الإطار الوطني، إذا أردنا أن نتحدث سياسيًا بمعزل عن الخلفية العقائدية وقتها قلنا مع غيرنا إذا أراد العالم الذهاب إلى مدريد ماذا سيذهب لبنان ليفعل وليس لديه شيء وكان الدولة اللبنانية تقول بتنفيذ القرار ٤٢٥، إذا أردنا التحدث لبنانيًا نحن يكفينا تنفيذ

الـ٤٢٥ وماذا سنفاوض؟ يوم ذهبوا إلى مدريد كان يقال إن الأمور ستنتهي في ثلاثة أشهر وأن كل شيء مُرتب خلف الكواليس، وأن الأمر يتعلق بقليل من المخارج والسيناريوهات والتمثيليات من أجل تهيئة الرأي العام.. الآن نحن في العام ٢٠٠٠، الموضوع ليس بالبساطة التي يتم تناوله فيها أحيانًا، والقول إن هناك إرادة أمريكية، صحيح نحن لا نستهين بقوة تأثير أمريكا في الأحداث لكن أمريكا ليست إلهًا تقول للشيء كن فيكون، وحتى الآن إذا أريد تسجيل فشل سياسة أمريكا في كثير من المناطق في العالم يمكن الحصول على نماذج كثيرة.. من هنا نحن تقديرنا أن الأمور لا تتجه في هذا الاتجاه الإسرائيلي ليس حاضرًا لتسوية يقدم فيها بعض الحقوق المقنعة.. إنه يسعى إلى تسوية بشروطه وليس كل العرب يقبلون بتسوية مع إسرائيل بشروط إسرائيلية وفي مقدمتهم سورية، وقبل قليل أشرت إلى الموضوع الفلسطيني، وهو أساس كل الصراع في المنطقة، حتى ولو جرى صلح مع سورية ولبنان، والموضوع الفلسطيني لم يحل، فمعنى ذلك أن التسوية غير قائمة، وأن الصراع في المنطقة مستمر، أنا من الذين يعتبرون أن الموضوع الفلسطيني لا إمكان لمعالجته بالطريقة التي تدار بها الأمور الآن ربما (الرئيس الفلسطيني) ياسر عرفات أو بعض الناس في منظمة التحرير يقول في يوم من الأيام للناس إن القدس ذهبت وانتهى الأمر، نحن نعرف الشعب الفلسطيني جيدًا ونعرف شبابه، هذا موضوع لا يُسكت عنه ولا يُترك.. ليس في هذه البساطة يقرر عرفات أن يُقنع الشعب الفلسطيني بعدم وجود حل لأربعة ملايين فلسطيني في الشتات، في الوقت الذي سيستقبل فيه باراك المهاجر الرقم مليون من الاتحاد السوفييتي السابق، ويعلن استعداد إسرائيل لاستقبال مليون مهاجر يهودي آخر هنا.. نحن نفترض أن الشعب الفلسطيني مات ولم تعد هناك حياة ولا إرادة ولا إيمان ولا عقيدة ولا شهامة ولا رجولة في الشعب الفلسطيني أي أنه استسلم.. في هذا الشعب الذي قاوم خمسين عامًا أناس تعبوا وقيادات تعبت والقيادة التي تعبت يمكنها أن ترتاح، ولكن بالأمس كان هناك شاهدان على التليفزيون الشبان الذين نزلوا إلى الأرض ورشقوا بالحجارة جنودًا مسلحين، خصوصًا أن رصاصة المطاط إذا أصابت القلب تقتل وإذا أصابت العين

تعمي، هذا الجيل من الشباب يضحي، ولم يتعب في كل الظروف القاسية والصعبة.

أعتقد والأيام ستثبت ذلك أولاً أن الأمور لا تتجه على هذا النحو، وإذا حصلت هذه الفرضية فنحن نعمل تحت عنوان معركة لا تقل أهمية عن معركة القتال المسلح، وهي معركة التطبيع، ومواجهة التطبيع مع العدو الإسرائيلي.

قبل مدة قرأت عن مؤتمر لمواجهة التطبيع في الكويت، تشكلت له هيئات في كل دول الخليج واليمن ومصر والأردن ولبنان، وسيبذل جهد كبير في مواجهة التطبيع.. وأعتقد، كما حدثت المقاومة المسلحة، أو جمدت مشروع إسرائيل الكبرى الممتدة عسكريًا وجغرافيًا إذا استطعنا إنجاز مشروع مقاومة التطبيع كاملاً وكبيرًا فإنه سيحد من مشروع إسرائيل العظمى وهذا لا يقل أهمية.

أما ماذا سأقول لعائلات شهدائنا وقواعدنا فأقول لعائلات شهدائنا وقواعدنا،: أولاً هؤلاء الشهداء أنجزوا عملية التحرير وهذا لا نقاش فيه، وهو موضع اعتزاز كل عوائل الشهداء الذين يشاركون في إنجاز هذا النصر الذي تحقق.. وحين يأتي يوم تُصالح فيه الدول اللبنانية إسرائيل ويُرفع علم على سفارة بالطبع، ليس أنا من صالح إسرائيل، سأقول لقواعدي هذا جزء من المعركة نحن حررنا أرضًا واليوم ثمة عملية تطبيع وعلينا مواجهتها هذا الموضوع لن يخصني أنا وحدي وهناك الكثير من الأحزاب والشخصيات والفعاليات الموجودة في العالم العربي لديها استعداد لمقاومة هذا الأمر، هذا سيكون جزءًا من مواجهة الموقف، نحن موجودون في المجلس النيابي والشارع وساحات مختلفة وسنبذل جهدنا كي لا يكون هناك تطبيع بين لبنان وإسرائيل.

بعد الإنجاز العظيم للمقاومة الإسلامية بالجنوب اللبناني:

سماحة السيد حسن نصر الله أمين عام حزب الله يصرح للمختار الإسلامي:

بالمقاومة يتهاوى المشروع الصهيوني من الداخل واجهتنا مشكلات عصبية في بداية جهادنا ولكن مهمة الفلسطينيين أسهل!!

عملياتنا المسلحة لن تتوقف ضد إسرائيل طالما ظل شبر من أرضنا مغتصبًا لن نصمت أمام تهديدات أمريكا بنقل سفارتها للقدس وسنعيد الدبلوماسيين إلى واشنطن في نعوش.

الإنجاز العظيم الذي حققته المقاومة الإسلامية لحزب الله ضد قوات الاحتلال الصهيوني وتحرير الجنوب اللبناني بعد ٢٢ عامًا من النضال والمقاومة الاستشهادية، كان مثار العديد من التساؤلات على الساحتين العربي والعالمية. كيف بدأت هذه المقاومة، وما هي الصعوبات والمعوقات التي واجهتها في بدايتها؟

وهل يمكن أن يتكرر نموذج حزب الله على الساحة الفلسطينية؟

وما هو مستقبل المقاومة على الساحتين السياسية والنضالية في لبنان وخارجها بعد هذا النصر الساحق؟

وكيف سيكون شكل العلاقة بين الحزب والدولة خلال المرحلة المقبلة؟

وهل سيقاتل الحزب دفاعًا عن سوريا وفلسطين؟.. وما دوره في منع اشتعال الفتنة الطائفية من جديد في لبنان؟

ولماذا طالب بضرورة إنزال أقصى العقاب على العملاء رغم وجود أكثريتهم من الشيعة؟

وما هي رؤية حزب الله للوجود السوري في لبنان؟. وكيف سيواجه التطبيع مع إسرائيل في المرحلة القادمة؟

هذه التساؤلات وغيرها من القضايا الأخرى المهمة وجهناها إلى سماحة السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله في حوار خاص بالمختار الإسلامي من داخل بيروت. وجاءت إجاباته عليها كالتالي:

بداية: ما هو توصيفكم العام للمقاومة الإسلامية منذ بداياتها والصعوبات التي واجهتكم خلال تلك الفترة؟ وهل يمكن تطبيق هذا النموذج على فلسطين الآن؟!

ما حصل في لبنان كان على سبيل السهل الممتنع.. وهل لدينا إيمان بما نقول وما

نفعل أم لا؟ ويجب الإقرار بذلك، فقضية المقاومة في لبنان هي قضية إيمان وثقة وقضية نفسية في الوقت نفسه.. لأنه في سنة ١٩٨٢ وفي مثل هذه الأيام بالتحديد أكثر من مئة ألف جندي إسرائيلي اندفع في اتجاه لبنان وخلال أيام قليلة كانوا على بوابة بيروت، وكما أقول لم تحصل مقاومة في ذلك الوقت، لأنه لو حصلت المقاومة لتحولت لبنان إلى مقبرة جماعية.. ثم جاءت قوات متعددة الجنسيات لحماية الاحتلال، وللأسف الشديد كان نتيجة للصراعات الداخلية في لبنان أن بعض القوى السياسية أصبحت متعاونة مع الاحتلال. المقاومة الإسلامية انطلقت في جو واستهجان من الكثيرين، وكان عمري في ذلك الوقت لم يجاوز الثانية والعشرين، وأذكر في تلك الأيام بعد مقابلتي لرجال مؤمنين يقرأون القرآن ويستشهدون بآيات الله عز وجل، كانوا يقولون لي أنتم مجانين، شباب متحمس لا تقدرون عاقبة ما سيحدث لكم، الاتهام العام الآخر هو اتهام بالجنون، لأننا إذا حكينا بمنطق العقل فهو يقول إننا مجانين، وإذا حكينا بمنطق الدين فهو يقول أنتم ترمون بأنفسكم إلى التهلكة، وما تفعلونه حرام وهو جريمة بمعنى أنه بالمقاييس الدنيوية والدينية هو جنون ومحرم). لكن يرجع الفضل في بداية المقاومة الإسلامية بلبنان بهذا الشكل إلى الإمام الخميني، لأنه قال لنا: لبنان وضعه الداخلي صعب جدًا بسبب الحرب الأهلية، لكنكم أنتم الشباب يجب أن تقاتلوا الاحتلال، وإذا كان هدفكم الدنيا فلابد أن تقاتلوا جيش الاحتلال، وإذا كان هدفكم الآخرة فلابد أن تقاتلوا جيش الاحتلال، وبالعقل والمنطق والدين وبالأخلاق وبالوطنية وبالقومية، ولقد تبين لنا وبكل المقاييس والمعايير أن الموقف الصحيح هو خيار المقاومة والقتال.. أول شيء نحن اهتدينا إلى الطريق وهو القتال والمقاومة، لأننا درسنا خياراتنا: ننظر إلى الجامعة العربية وماذا ستفعل؟ ننظر إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، إلى مؤتمر عدم الانحياز إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة والمؤسسات الدولية، وجدنا أن ما سيحدث في لبنان هو نفس ما حدث في بقية الدول العربية، والشيء الآخر الذي كان مؤثرًا بشدة هو أننا بدأنا نقاتل منذ اليوم الأول، وكنا واثقين من النصر رغم وجود كل هذه القوات الإسرائيلية على أرض لبنان ومن خلفهم الأسرة الدولية التي تساندهم

بقوة من أجل التمكين لهم من احتلال أراضينا، ورغم التدمير وضرب البنية التحتية للبنان وتقديم الشهداء الواحد تلو الآخر كنا نرى النصر صوب أعيننا، وكان هناك يقين لدينا جميعًا من الرسالة ومن هذا الدين بأن النصر قادم لا محالة، مثلما نعرف أن الله خلقنا وأن عنده جنة ونار، وأنه يحاسب كان لدينا يقين بأنه ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ وفي سبيل ذلك كنا نبذل أقصى الجهد للوصول إلى هذا الهدف.

العنوان الثاني:

هو أن هذا العدو وضع مشروعه الاستيطاني الغاصب لأرضنا، وأنه لا سبيل للتصدي له سوى بالقتال والمقاومة، ووثقنا بوعد الله عز وجل، ولكن بشرط أن تكون هذه المقاومة مقاومة جدية وقادرة، وشريطة أن يكون كل شيء في خدمتها، خلافًا لكل نظريات منظمة التحرير أو أية أحزاب أخرى اشتغلت بالمقاومة ضد الاحتلال الصهيوني لأراضيها، فكان لدينا العمل السياسي في خدمة العمل العسكري، أما الآخرون فكانوا يقومون بأي عملية عسكرية من أجل تحقيق مكسب سياسي إنما نحن اعتبرنا أنفسنا رجالاً في خدمة الجهاد والقتال والمقاومة، والعمل السياسي والعمل الإعلامي لابد أن يكون في خدمة المقاومة، وحيوية الشعب أيضًا لابد أن تكون في خدمتهم، وكذلك الإعلام والمال والعاطفة والعلاقات والحركة السياسية الداخلية. وأية مكاسب سياسية تتحقق لابد أن تكون في خدمة المقاومة.. لذلك خلال السنوات الماضية كنا نشتغل بهذه الأولوية، وكنا حريصين على أن أي قتال داخلي، أي نزاع داخلي أي شقاق داخلي –فكري أو سياسي– نخرج منه ولا ندخل فيه، وإذا أدخلنا فيه نخرج منه بسرعة، ولم نكن مرغمين ولا مجرورين لهذه المعركة – رغم المحاولات الكثيرة طوال السنوات الماضية كي نجر إلى معارك جانبية ليس لها معنى – طالما أن المقاومة هي أولويتنا.. شبابنا ومالنا وحالنا وتعبنا وكل ما نملك كان للمقاومة، ومع ذلك لم يكن لدينا موظف واحد في الدولة حتى لا نحملها أية أعباء جديدة على أعبائها لأنه كان الواجب علينا أن نساعد الدولة في حل مشاكلها وليس تحميلها أعباء إضافية.. وكنا نعتبر أن هذه المسيرة بكل مؤسساتها وأجهزتها هي في خدمة هذه المعركة.. في نفس الوقت كان علينا أن نجعل هذه

المقاومة مقاومة جدية، قتالاً دائمًا وقتالاً يوميًا وأشهد بأن حزب الله وقادته وكوادره الشابة تحملوا معنا الكثير من إهانات وخيانات ومصاعب كبيرة، وضحوا كثيرًا.. وعائلات عديدة كانوا يضحون بأولادهم ويأتون بهم إلى ساحة المقاومة ليقاتلوا معنا، لذلك كانت المقاومة حقيقية وجدية: بروحانيتها وقدسيتها وقيمتها الأخلاقية، بأمانيها وطموحاتها..

هذه المقاومة التي تبدو مختلفة عن كل أشكال المقاومة العسكرية. وبتعبير واحد أقول إن مقاتلي هذه المقاومة لم يكونوا يريدون من هذه الدنيا أي شيء، ولا منصب ولا وظيفة ولا مالاً ولا أي شيء..

هؤلاء كانوا يقاتلون في سبيل الله، وكانوا يقولون هذه المعركة مشروعة إذا قُتلت فيها أدخل الجنة.. فعندما نلتزم بكل هذا فإن الله سبحانه وتعالى وعدنا بالنصر حيث يقول:

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ والحقيقة أن العناية الإلهية كانت مع هؤلاء كانت مع هؤلاء المقاومين تحرسهم وترعاهم، فنحن لم نكن سوى مجموعة أشخاص باعوا أنفسهم لله، ولذلك نقول إن الله هو الذي حرر الجنوب، وما كنا إلا عوامل وأسبابًا ونتائج.. هذه هي حقيقة المقاومة الإسلامية في حزب الله، وما حدث في لبنان ليس حدثًا عاديًا ولا استثناء ولا معجزة، هذه هي القاعدة والأصل، هذا هو القانون الطبيعي.. فمن خلال الاستجابة للشروط حدثت النتائج، هذا شيء طبيعي.. فنحن خلال خمسين سنة لم نكن ننتظر شيئًا.. من هنا نقول إن إسرائيل بدأت تفاجأ بقتال حقيقي على أرض لبنان..

وإذا طبقنا ذلك على فلسطين نقول: إنه لو حدثت بعض الاستجابة للشعب في الداخل لتحقق للفلسطينيين النصر عليهم، فإذا كانت إسرائيل تُهزم في جنوب لبنان، فبطريق أولى تُهزم في الداخل، لأنها في داخل فلسطين أضعف منها في جنوب لبنان، لأن هناك المعركة في عقر دارها، المعركة في جنوب لبنان كانت على الشُرفة لكن في فلسطين داخل الدار، وأنا في ذلك لا أحكي بحماس ولا لرفع معنويات، وإنما أقول

إن الانتصار للشعوب.. وقد قلت هذا في مخيم اليرموك للفلسطينيين، وقلت لهم إن شعبكم لو تخلى عنه كل العرب – حكومات وشعوبًا - ولو تخلى عنكم كل العالم، فأنا على يقين بأنه قادر على تحرير كل أرضه منذ عام ١٩٦٧ وليس القطاع، وأن يستعيد فلسطين من البحر إلى النهر، وهو وحده القادر على ذلك عن طريق بعض العمليات الاستشهادية في الأراضي الفلسطينية المحتلة على أيدي حماس والجهاد الإسلامي، بعض اليهود خرجوا في التليفزيون ليعلنوا أنهم جاءوا إلى (المكان الخطأ) واحتاجت إسرائيل إلى مؤتمر عالمي في شرم الشيخ لوقف مثل هذه العمليات مجددًا..

لماذا هم يخافون من نموذج حزب الله أن يتم تعميمه وأن تكون فلسطين بنفس المصير؟ لأن غاية ما تهددني به (الموت) هو غاية الآمال، وأعظم شيء هو أن أقتل في سبيل تحرير هذه الأرض. لذلك يجب على الشعب الفلسطيني إذا كان يريد المقاومة أن تكون المقاومة في فلسطين في خدمة التحرير وليس في خدمة العمل السياسي، وأن يكون الأخير في خدمتها، ومنظمة التحرير في خدمتها، والفصائل في خدمتها، والزعامات في خدمتها.. مقاومة القادة يستشهدون فيها وأبناء القادة يستشهدون فيها مقاومة لابد أن يكون المال في خدمتها، وليس العمليات ذريعة كي نجمع المال من الناس. مقاومة جادة من هذا النوع، لابد أن تحقق النصر في النهاية.

وكيف كان الإعلام في خدمة المقاومة بالجنوب اللبناني؟

نحن في الإعلام لم نقم بتمثيليات، إنما اقتحمنا مواقع حقيقية وبعدها قمنا بتصويرها، وقمنا بتصوير الجنود الإسرائيليين وهم يغادرونها مثل الأطفال الصغار، وحضرنا المشهد كي يراه العرب، وعندما صورنا للعالم بعض المقاتلين في حزب الله وهم يفجرون أنفسهم في المواقع الإسرائيلية لم يكن تمثيلاً وإنما كان حقيقة.. ورغم أننا الذين صورنا هذا فقد كنا نبكي عندما نراه ثانية، فكيف الحال بالنسبة للناس العاديين؟!.

ما هو مستقبل المقاومة الإسلامية في لبنان بعد انسحاب إسرائيل من الجنوب المحتل؟

فيما يتعلق بمستقبل المقاومة الإسلامية بلبنان، أقول إن هناك مجموعة من العناوين لم تتم الإجابة عليها، فهناك جزء من لبنان مازال تحت الاحتلال مثل منطقة مزارع شبعا وغيرها، ونحن بمعزل عن موقعنا الفكري والعقائدي الذي يرى في الكيان الصهيوني وجودًا غير شرعي فإننا لا نتسامح في ذرة أرض من ترابنا.

العنوان الثاني هو المعتقلون اللبنانيون في السجون الإسرائيلية، فكيف تكون الأمور قد انتهت وأعيش مع زوجتي وأولادي وهؤلاء بعيدون عن عائلاتهم وأرضهم.

العنوان الثالث وهو الأهم

لبنان هو البداية والتكتيك الذي يعول عليه كل شيء من رئيس حكومة العدو إلى رئيس أركان حرب العدو إلى الوزراء إلى غيره وهذا التعويل ليس حربًا نفسية، هذا التعويل تحقيق لأفكار إسرائيلية مستقبلية، حيث لا توجد ضمانات للبنان ولم يقدم أحد هذه الضمانات، فيبدو أن ما أقوله الآن قد يكون ضمانًا وليس أكيدًا: أن يتحول الشعب اللبناني والجيش والمقاومة في لبنان إلى حرس حدود، على حدود لبنان مع الأرض المحتلة، وأن ندخل إلى فلسطين ونشتغل جواسيس عند الصهاينة، وأن نقدم لهم معلومات عن أي فلسطيني يفكر في تنفيذ أية عملية ضد القوات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة.. هذا قد يجعلهم يرضون عنا ولا يفعلوا شيئًا ضدنا، وهذا لا يكون أبدًا.

وللتدليل على الذرائع الواهية التي سيستخدمها الإسرائيليون لضرب لبنان مستقبلاً، أنه فيما مضى حدث أن السفير الإسرائيلي في لندن تعرض لمحاولة اغتيال، وحتى الآن لم يعلن من أطلق النار عليه، ويمكن أن يكون حتى الآن على قيد الحياة، مع العلم أن في جنوب لبنان كانت منظمة التحرير عندها اتفاق وقف إطلاق نار مع الإسرائيليين، فكان لديهم اطمئنان وهدوء في شمال فلسطين، فكانت محاولة اغتياله في لندن تقابل باجتياح ثاني عاصمة عربية.. إذن لبنان داخل دائرة الخطر، وهذا يعني أن لبنان ليس عنده جيش، ومحتاج لأن يحافظ على المقاومة في المرحلة المقبلة،

وهو محتاج لأن يرفع من مستوى جهوزية المقاومة وروحيتها واستعداد شبابها وتلاحم شعبها، لأننا لا نعرف الأمور في المنطقة إلى أين ستذهب إسرائيل، كيف تفكر بشأن لبنان؟ هذا جانب من المشكلة، وجانب آخر أننا بالموضوع الداخلي بنفس الخلفية الفكرية والإيمانية التي اشتغلنا فيها مقاومة.. وفي هذا السياق أريد أن أعمل توصيفًا دقيقًا لحزب الله، فنحن في لبنان طوائف، ونحن مسلمون، ومن ضمن المسلمين نحن شيعة لكننا نقول دائمًا: هناك فرق بين الانتماء الديني والانتماء الطائفي، فانتمائي الديني هو الذي جعلني أقاتل دفاعًا عن كل لبنان وليس دفاعًا عن المسلمين دون المسيحيين، أو الشيعة دون بقية الطوائف الأخرى.. فعندما كان يعتدي على اللبنانيين – سواء السُنة في صيدا أو الشيعة في النبطية أو المسيحيين في الجنوب – كنا نقف في وجه إسرائيل ونواجههم بالكاتيوشا ونهدد المنطقة بكاملها.. إذن خلفيتي العقائدية جعلتني أقاتل دفاعًا عن وطني كله، جعلتني أقاتل بالنيابة عن كل الأمة في مواجهة المشروع الصهيوني، ونفس الخلفية في لبنان:

أنا خلفيتي دينية عقائدية فأنا حزب ديني، لكن الحزب الديني يستطيع أن يكون حزبًا وطنيًا في خدمة وطنه، يستطيع أن يصبح حزبًا قوميًا في خدمة أمته العربية مثلما هو حزب إسلامي في خدمة أمته الإسلامية. من هنا بهذه الخلفية لا نقول بانتصار طائفة على طائفة، فهذا لم يكن انتصار مسلمين على مسيحيين ولا انتصار شيعة على غير شيعة، فلم تكن هذه الخلفية موجودة لدنيا ولو للحظة من اللحظات. اليوم نحن على المستوى الداخلي لحزب الله نريد أن يصنع البلد كله، نحن بلد له استحقاقات كثيرة، كل الشعب اللبناني مثلما كان بحاجة إلى مقاومة شريفة ونظيفة تفكر بعقل وطني، هو بحاجة اليوم إلى عمل سياسي يفكر بعقل وطني للجميع وليس عملاً سياسيًا يفكر مثلاً في امتيازات تتحقق للمسلمين أو طائفة الشيعة، إنما يفكر في استقرار هذا البلد ونهضته وتقدمه. فنحن في أزمة اقتصادية خانقة، فليس من المعقول أن أفكر في الشيعة والمسلمين فقط دون أهل لبنان، فكل إنسان في هذا البلد هو مسئولية حزب الله وخصوصًا في المناطق المحرومة. لذلك فهناك عناوين عديدة يجب تدارسها وتداركها، فاليوم أسوأ ما تعاني منه إدارات لبنان هو الفساد الإداري، مثلما كنا بحاجة إلى مقاومة نظيفة، نحن بحاجة إلى تجربة إدارية نظيفة، لا تهادن

اللصوص و(الحرامية) لبنان محتاج إلى إصلاح إداري، والمعركة ليست لطائفة على حساب طائفة أخرى، إنما لحساب كل لبنان، وستوجد ساحة عمل كبيرة لحزب الله يمكنه أن يقدم فيها نماذج إيجابية.

هناك علامات استفهام عديدة حول المستقبل العسكري لحزب الله.. فماذا لو وافقت إسرائيل على الانسحاب من مزارع شبعا وكل التلوءات التي تحتلها داخل الأراضي اللبنانية.. ووافقت على إطلاق جميع المعتقلين؟

يبقى العنوان الثالث الذي قتله وهو الأهم، وهذا الأمر الكل هنا يحكي فيه والمسئولون يحكون فيه: ما دام لبنان في دائرة تهديد، فلا أحد يمكن أن يفتح ملف تسريح المقاومة.

وما هو شكل العلاقة بين حزب الله والدولة في حالة استعادة باقي الأراضي اللبنانية، خاصة بعد أن أعلنتم مسبقًا: اليوم تحرير الأراضي اللبنانية وغدًا تحرير الجولان والقدس، وصولاً إلى قلب إسرائيل... وهل هذا الهدف صعب التحقيق؟!

هذه عقيدة، لكن تحرير جنوب لبنان كان بالدرجة الأولى مسئولية الشعب اللبناني، ولكن مسئولية كل الأمة أن تساعده وتسانده ولا تجعله يقف وحده.. أما في فلسطين فهذه مسئولية الشعب الفلسطيني، وعلى الأمة أن تقف بجانب الشعب الفلسطيني فعلينا أن نقف بجوار شعب فلسطين، وهذا يختلف من بلد لبلد ومن تنظيم لتنظيم ومن مجموعة لمجموعة، لكن المبدأ والقاعدة أن نقف جميعًا إلى جانب شعب فلسطين لتحقيق هذا الأمل الكبير إن شاء الله تعالى.

ولكن ماذا لو استمر احتلال إسرائيل لمزارع شبعا والقرى اللبنانية الأخرى؟

الطبيعي أن تستمر المقاومة مادامت هناك أرض مازالت محتلة، وهذا في نهاية المطاف يخدم موقف الحكومة اللبنانية، رغم أنه قد يبدو للبعض في الوهلة الأولى أنه قد يكون هناك تعارض، فلابد أن يكون هناك دولة ومقاومة وقدرة على توزيع الأدوار من حيث النتيجة، وهذا من عناصر القوة اللبنانية، فما دامت هناك أرض محتلة فمن الضروري والطبيعي أن تستمر عمليات المقاومة حتى يتم تحرير هذه الأرض.

وهل ترى أن المقاومة الفلسطينية في الأرض المحتلة لديها القدرة على تجاوز كل العقبات الموضوعة في طريقها وبخاصة عدم وجود أرض ولا ظهر لها كما كان الحال مع المقاومة اللبنانية؟

في عام ١٩٨٢ عندما بدأت المقاومة الإسلامية في لبنان قال المحللون السياسيون والمثقفون إن هذه المقاومة بلا جدوى، وأنتم عملاء إيران وتقاتلون لحساب الإيرانيين، وأنتم تتلقون أوامر من دمشق، ولم يلتف حولها الشعب اللبناني بهذه الصورة إلا بعد أن أثبتت المقاومة جدواها وفاعليتها وبدأ كثير من الناس يقتربون منها. نحن كي نتمكن من الوصول إلى أهدافنا كان علينا أن نتجاوز الحاجز الأمريكي والحاجز الفرنسي وحاجز القوات متعددة الجنسيات وقوات الطوارئ والعملاء وغيرهم، فكل هذه المراحل مررنا بها في بداية عمل المقاومة، وهذا ممكن داخل فلسطين، لأن لبنان قدم آلاف الشهداء وآلاف المعتقلين، وآلاف البيوت المهدمة، وأقول أنه لو كل يوم يضرب خمسة فلسطينيين خمسة من قوات الاحتلال الإسرائيلي سيتحقق لفلسطين حريتها واستقلالها، والله تعالى ينصر المستضعفين طالما أن الحق معهم، والسيارة يجعلها تهزم الدبابة. لذلك أقول إن المقاومة الفلسطينية لو أصبحت مقاومة سكاكين وحجارة، فهي قادرة على تحرير فلسطين بإذن الله.. وأقولها صراحة: أنا أضمن تحرير فلسطين بعدد شهداء أقل من عددهم في الحرب الطائفية في لبنان، لأنني أعتقد أن إسرائيل من الداخل هي أوهن من بيت العنكبوت، وهذه المقاومة تستحق التضحية من أجلها، وفي النهاية ستحقق الهدف الذي نبغيه جميعًا منها.

وماذا عن تحفظات حزب الله على تعاطي الدولة مع عملاء ميليشات أنطوان لحد، وكيف ترون قضية التعاطي مع العملاء؟ وهل سيكون لحزب الله دور في عملية إماء الجنوب وإعماره بعد الانسحاب؟

أولاً، في قضية العملاء نرى أن هناك مخاطر جدية وحقيقية وهناك مستوى من ضبط الأعصاب لدى الأهالي الموجودين في المنطقة، مع العلم بأننا في قضية العملاء كان يحركنا إحساسنا الوطني إذ أن الأكثرية الساحقة من المسجونين الذين

يتعرضون للمحاكمة هم من الشيعة، ومع ذلك لم نطالب بعفو عام عنهم، بل إننا طالبنا بإنزال أشد العقاب عليهم فالعملاء كان الجزء الأكبر منهم من الشيعة، يليهم المسيحيون، يليهم الدروز، لأن الكثافة السكانية في هذه المنطقة غالبيتها من الشيعة ثم المسيحيين ثم الدروز، وليس أن الشيعة كانوا الأكثر انضمامًا للعملاء أن نتركهم فالعميل عميل ولابد أن يعامل على هذا الأساس، ولا تفرقة بينهم على أساس ديني أو طائفي أو غيره.

أما عن أعمار الجنوب وإنمائه فنقول إننا بإمكاناتنا المتواضعة سوف نبذل جهودنا المالية ومجهوداتنا الخاصة، ولابد أن يتعاون الجميع في ذلك، الدولة وكل المؤسسات اللبنانية الرسمية وغير الرسمية، لأن الجنوب بحاجة لكل هذه الجهود مجتمعة.

وماذا عن بعض الضغوط الخارجية التي تحاول بعض المنظمات والقوى الخارجية فرضها على لبنان في هذه المرحلة، وما هو دور حزب الله في ذلك؟

في الواقع هناك ضغوطات عديدة من الأمم المتحدة وغيرها، خاصة في مسألة ترسيم الحدود وقد حاولت بعض الدوائر أن تناقش معنا هذه القضية، لكننا رفضنا ذلك وتركنا هذا الأمر للحكومة وحدها، ولنمنع أية محاولات لإحداث وقيعة بيننا وبين الدولة في هذا التوقيت الحساس أو النيل من الوحدة اللبنانية.

وما هو دور حزب الله في المرحلة المستقبلية لمنع الاقتتال الطائفي مجددًا على نحو ما تهدف إسرائيل الآن؟

نحن على استعداد كامل لبذل الجهود مع كل الطوائف اللبنانية، والحمد لله لدينا علاقات جيدة مع كل الطوائف وكل الأحزاب وكل الفعاليات والمواقع، ونستعمل هذه العلاقات لخدمة المقاومة، ويمكننا أن نوظف هذه العلاقات لخدمة مشروع التلاحم الوطني، والحيلولة دون حدوث انقسامات طائفية أو انشقاقات طائفية داخل لبنان، ونحن عملنا تشكيلاً عسكريًا من كل الطوائف والسرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال، وعندما يكون هذا الهدف مطلوبًا فإن الآلية والتنظيم والشكل أمر سهل،

فنحن عندما نتعامل ونتعاون مع كل الجهاد اللبنانية، يمكن أن نكون أول بلد إسلامي التقى فيه إسلاميون وقوميون وماروانيون ومسيحيون على طاولة واحدة في لبنان، فالذي جمعهم هو حزب الله، فإذا كان لدينا كل هذا التعاطي والتعاون فنحن حاضرون للقيام بأية مبادرة أو عمل للمواجهة وحسم الخلافات.

وما هو تقويمكم للموقف المصري من القضية اللبنانية، وما هو موقفكم من الوجود السوري في لبنان في ضوء العلاقة الوثيقة بين حزب الله وسوريا؟

نحن جميعًا قدرنا الدور المصري المساند للبنان، خاصة خلال الاعتداءات الإسرائيلية الأخيرة على لبنان، وإذا مصر قالت بجدية ممنوع الاعتداء على لبنان فهي قادرة على وقف أية اعتداءات علينا، لذلك كنا حريصين على ذلك وكانت مصر حريصة هي الأخرى، ولذلك رأينا أن قوة لبنان تضاعفت خلال العدوان الأخير بعد موقف مصر المساند لها بقوة، وزيارة الرئيس مبارك لبيروت وإعلانه تأييد مشروعية المقاومة اللبنانية، ولكن الدور المصري غير كافٍ ونأمل أن يتطور وألا يقتصر على دور الوسيط بين الجاني والضحية؛ فمصر أكبر من ذلك بكثير.. أما عن الوجود السوري في لبنان فأقول أنه حاجة وطنية، ولم يكن هناك طوال فترة الوجود السوري أي خلاف، ومن الصدف الغريبة أن الذي طالب بدخول سوريين إلى لبنان كانت القوى المسيحية بلبنان، وكانت القوى الإسلامية والحركة الوطنية تخالف ذلك، والآن الذين يطالبون بخروج السوريين هم نفس القوى التي طالبت بدخولهم، وعندما صدر القرار بدخول القوات السورية إلى لبنان لم تكن إسرائيل موجودة فيها، فهناك معادلات مختلفة، ثم حدثت تطورات بالغة الخطورة، وللأسف الشديد فإننا قلنا إنه عندما يكون لبنان قادرًا على أن يقف على قدميه ويتماسك ولا يتشقق وينهار ويتقاتل، في هذه الحالة لن تكون هناك حاجة لوجود قوات سورية على أرض لبنان، يجب أن نوفر شروطًا من هذا النوع، لكن الذين يرفضون هذه الشروط هم الذين يطالبون بخروج القوات السورية، فلبنان الآن لو ظل وحده سيعود القتال من جديد حول توزيع المناصب الوزارية وغيرها بين الطوائف والأحزاب، وفي الانتخابات إذا لم تكن القوات السورية موجودة يمكن أن تحدث حرب أهلية جديدة، لذلك فأنا أتهم

الذين يطالبون بخروج القوات السورية بأنهم يريدون إشعال حرب أهلية جديدة صراحة، وهذا مطلب إسرائيلي بالدرجة الأولى ومن ورائه مطلب أمريكي ثان.

ننتقل إلى مرحلة ما بعد الإنجاز التاريخي لحزب الله ونسألكم ما هو دور حزب الله في مواجهة التطبيع مع إسرائيل؟

هذا الموضوع من أهم عناصر الاتفاق بين القوى اللبنانية – مسلمين ومسيحيين وغيرهم - لأن هناك إجماعًا على ضرورة مواجهة أي شكل من أشكال التطبيع، لكن المشكلة عندما تكون الدولة موقعة الاتفاق مع إسرائيل فما دامت الدولة لديها اتفاق تكون المواجهة أصعب، إنما الموقف في لبنان يختلف لأن الدولة لم توقع اتفاقًا مع إسرائيل وأعلنا صراحة: إننا سوف نواجه التطبيع على كل المستويات خلال الفترة القادمة، وبكل أشكاله، ولن نجعله ينفذ إلينا بأي حال من الأحوال.

أخيرًا: كيف تنظرون إلى التهديدات الأمريكية بنقل سفارتها إلى القدس في حالة عدم إذعان عرفات للمطالب الإسرائيلية، وفي مقدمتها عدم إعلان الدولة الفلسطينية من جانب واحد؟

هذه التهديدات الأمريكية ليست جديدة أو وليدة هذه اللحظة، لأننا نعلم جيدًا مدى مساندة الإدارة الأمريكية لإسرائيل ضد المصالح العربية والإسلامية دومًا، حيث تعد الولايات المتحدة هي عدونا الأكبر، ولابد أن نعي هذه الحقيقة جيدًا. أما فيما يخص قضية نقل السفارة الأمريكية إلى القدس، فأقول: إن مثل هذا التصرف يمثل تحديًا صارخًا لكل العرب والمسلمين، لأنهم يعلمون حق العلم ما تمثله القدس من مكانة دينية وأنها رمز تاريخي للعرب والمسلمين جميعًا.. لذلك لن يقف العرب والمسلمون صامتون في حال تنفيذ أمريكا لهذه التهديدات، بل سيحولها المقاومون الفلسطينيون وكل المجاهدين الشرفاء في العالم العربي والإسلامي إلى ركام، وسوف نشيع جثث الدبلوماسيين والموظفين الأمريكان إلى واشنطن في نعوش.. لذا نحذر الإدارة الأمريكية من الإقدام على مثل هذه الخطوة، كما نطالب شعبنا المقاوم في فلسطين بالانتفاضة من أجل تغيير هذا الواقع السيئ الذي جلبته

اتفاقيات أوسلو وغيرها، وجعلت الأمريكان واليهود يتبجحون على مقدساتنا بهذا الشكل.

فالقدس هي قضية المسلمين جميعًا، ويجب ألا يفرط فيها أي عربي أو مسلم شريف، ولابد أن نبذل جميعًا كل جهودنا حتى نعيدها إلى أمتها العربية والإسلامية مجددًا، فهي لن تعود بالمفاوضات كما يزعم البعض، وإنما بالمقاومة والجهاد المستمرَّيْن، إنهما هما الطريق الوحيد لاستعادة القدس وكل فلسطين المغتصبة من قبل العدو الصهيوني وأعوانه، وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية.

بدأ زمن زوال إسرائيل

كشف الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصر الله في «مهرجان الوفاء للمعتقلين» ـ الذي أقيم مؤخرًا على ملعب «شهداء المقاومة الإسلامية» في بلدة الخيام الحدودية ـ اسمَيْ قائدَي عمليتين استشهاديتين كلاهما يحمل اسم «أبو زينب» نفذاهما عام ١٩٨٥ ردًّا على «المجزرة التي ارتكبتها المخابرات الأمريكية والإسرائيلية» في بئر العبد في الضاحية الجنوبية (استهداف السيد محمد حسين فضل الله)..

فأوضح أن اسم الأول أحمد شبير الحسن وهو من برج البراجنة وكان يواكب في العملية الشهيد علي محمد سليمان من بلدة باتولية وانفجرت قبل الوصول إلى الهدف، والثاني الذي بقي اسمه سرًا إلى اليوم هو من بلدة دبين الجنوبية واسمه عامر علي كلاكش وقد اقتحم بسيارته قافلة إسرائيلية على بوابة المَطَلَّة مما أدى إلى سقوط ٢٥ ضابطًا وجنديًا إسرائيليًا بين قتيل وجريح باعتراف إسرائيل حينها.

وتطرق نصر الله إلى موضوع المعتقلين في السجون الإسرائيلية مجددًا العهد «إننا لن نتركهم هناك» وأضاف مشيرًا بيده إلى مقاعد جلس عليها ٢٣٤ أسيرًا محرَّرًا وإلى جانبهم ١٦٠ مقعدًا شاغرًا تعبيرًا عن بقاء أصاحبها في السجون الإسرائيلية:

«إن هذه المقاعد ستمتلئ قريبًا.. هذا ليس شعارًا.. نحن ملتزمون بإعادتهم من أي حزب أو تنظيم أو طائفة كانوا، وسنفعل كل شيء لتمتلئ هذه المقاعد وأيًا تكن

الأثمان والتضحيات»..

وتناولت تصريحات لبعض المسئولين الإسرائيليين الذين حذروا من استئناف «حزب الله» حمل السلاح مجددًا بعد الانتخابات النيابية.. وقال الإسرائيليون ينتظروننا في كل مكان ويحلمون بنا وهم نيام:

(رئيس حكومة إسرائيل إيهود باراك ورئيس الأركان شاؤول موفاز وقائد المنطقة الشمالية كابي اشكينازي) والجميع هم يحددون التوقيت قبل الانتخابات وبعدها. طبعًا نحن لن نقول لهم شيئًا، دعوهم في قلقهم وخوفهم واضطرابهم (.....).

وتابع: «إننا أمام دولة مصطنعة وأمام كذبة هي إسرائيل التي نعرف جيدًا نقطة ضعفها. وقد سقطت ودخلت روح الهزيمة إلى هذا الكيان ويجب أن تعُدُّوا بدء زمن زوالها من الوجود من ٢٥ أيار (مايو) ٢٠٠٠ (جلاء إسرائيل عن الجنوب)..

إلى ذلك أعلن نائب الأمين العام لحزب الشيخ نعيم قاسم في تكريم شهداء بلدة حولا، إن قضية المعتقلين والرهائن اللبنانيين داخل سجون العدو «قنبلة موقوتة لا يعلم أحد في أي لحظة ستنفجر في وجه إسرائيل وأمريكا ومجلس الأمن.

وسأل «لماذا كل هذا القلق الإسرائيلي والدولي من موضوع رشق الحجارة»؟

وقال:

«على الرغم من أننا نعلم خلفية هذا الموضوع نسأل لماذا السكوت عن قضية الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال؟. فنحن لا يمكن أن نبقى ساكتين على بقائهم».. وكشف اسم مقاوم سقط حين كان في مجموعة أمنية تابعة للمقاومة الإسلامية داخل صفوف «جيش لبنان الجنوبي» في عبوة ناسفة، وهو كامل حسين علي حسين من حَوَلا، وقال: لم يعلن اسمه في حينه لضرورات أمنية..

«حزب الله الأمل الوحيد للفلسطينيين ومن يسلك طريق التسوية سيجد مأزقًا».

ولقد اعتبر السيد حسن نصر الله «أن الحزب وكل ما يلتزم خطه هو الأمل الوحيد للشعب الفلسطيني المعذب داخل فلسطين والمشرد خارجها». وذلك ردًّا على إتهام

إسرائيل لأبناء مختار إحدى القرى الفلسطينية المحتلة بأنهم على علاقة مع «حزب الله» وقال: «ستسمعون حكايات كثيرة من هذا النوع في الأيام المقبلة، فالتسمية انتقلت مباشرة إلى «حزب الله» بعدما كانت لحماس والجهاد والمنظمات الفلسطينية المناهضة لعملية التسوية، ونحن نعتبر أننا اليوم في قلب كل فلسطيني في الأرض المحتلة وخارجها»..

ولفت نصر الله إلى: «أن إظهار مفاعل ديمونا النووي الإسرائيلي في صحراء النقب على شاشات التلفزة في هذا الوقت ليس حدثًا عاديًا وعابرًا، بل هو إعادة تذكير للعرب والفلسطينيين بألا يحسبوا كل الحسابات على قياس لبنان وفي هذا مخادعة»..... وأكد: «أن لا رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات ولا غيره لديه تفويض عربي بالقدس وفلسطين أو أن يتنازل عن شبر واحد من الأراضي العربية للإسرائيليين». وذلك ردًّا على تصريح لوزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت في هذا الشأن..

وفي مهرجان في بلدة العين البقاعية شدد نصر الله على «أن الصهاينة سيرحلون عن هذه الأرض عاجلاً أم آجلاً.. مؤكدًا: «أن ما حصل في أمريكا واستراليا لا يمكن أن يحصل في لبنان وفلسطين والمنطقة العربية، فنحن لسنا هنودًا حمرًا.« وقال: إن الذين يسلكون طريق التسوية لن يجدوا أمامهم المأزق، أما طريق المقاومة فليس أمامه إلا نتائج واضحة هي الانتصار والعزة والكرامة والشرف، وهذا ما ندعو شعوب هذه المنطقة إليه..»

وفي الشأن الداخلي اللبناني انتقد نصر الله «التحريض المذهبي الذي لم يجنِ للبنان سوى الانقسامات والعداوات والمأساة والجوع والحرمان والفقر».. قائلاً: «إن الذي يتحدث بلغة طائفية تحريضية لا يريد بناء البلد وإعماره بل يريد تدميره ليكون زعيمًا..

وأوضح أن تحالفات «حزب الله» في كل الدوائر وخصوصًا مع بعض الأحزاب هي منسجمة تمامًا مع خطه ورؤيته وموقفه وهدفه السياسي». وقال: «عندما تركب اللوائح وتضم شخصيات أسياسية لها مواقعها، ومن خلال روح التعاون والائتلاف

لأننا أحببنا تحصين هذا النصر»..

نصر الله يرد على تهديد إسرائيل المستعمرات تحت أقدام مجاهدينا

ورد الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصر الله مؤخرًا على تهديد قائد سلاح المُشاة الإسرائيلي الجنرال موشيه إيفري باجتياح جنوب لبنان مجددًا.. فسأل: «هل يتصور هذا الجنرال أن الاعتداء على لبنان يبقى بلا ثمن وبلا رد وبلا مواجهة؟»..

وأضاف: «عندما كانت مستعمراتهم بعيدة عنا كيلومترات عدة لم تكن في منأى عن خطرنا، فكيف وهي اليوم تحت أقدام مجاهدينا؟»..

وأكد نصر الله في احتفال بلدة معروب (جنوب لبنان) أن لبنان لم يخرج من دائرة التهديد، لأنه لم يخرج من دائرة الأطماع الإسرائيلية.. وسنبقى نسمع المزيد من التهديد والوعيد». معتبرًا أن الجنرال الإسرائيلي يهدد وهو خائف ويعترف بالضعف «وسأل» هل يتصور أن الاعتداء على لبنان أو على جنوبه أو على قرية لبنانية نزهة؟.. وهل يظن أننا مازلنا في العام ١٩٧٨ أو العام ١٩٨٢؟.. هؤلاء لم يعتبروا على ما نظن أو أن هذا مجرد تهويل فارغ لأننا في سنة ٢٠٠٠ ونحن قبل ٢٥ أيار (مايو) وبعده قوم مختلفون».. وقال: «نحن دخلنا في زمن مختلف وعصر مختلف بالنسبة إلى هؤلاء الصهاينة.. وستسمعون في المرحلة المقبلة كلامًا هدفه التهويل، لأن الهاجس الكبير الذي يحكمهم في فلسطين المحتلة هو هاجس «حزب الله». فهم يحلمون به ومسكونون بهاجس النموذج الذي قدمه، وعندما يتوافر داخل فلسطين –وهو موجود بكل تأكيد – عناصر حاضرون للاستشهاد والتضحية – وقد حدث والحمد لله – سيهزم المجتمع الإسرائيلي، لأنه لا يملك إمكانات المواجهة». وأشار إلى تصريحات وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت عن الدول المانحة معتبرًا أن: «الضغوط الأمريكية والأوروبية ستبقى على لبنان»، داعيًا إلى صد ومواجهة وثبات..

وقال نائبه الشيخ نعيم قاسم إن المقاومة ستبقى على جهوزيتها.. ويجب أن نكون دائمًا مستعدين لأية مواجهة محتملة مع العدو لم تتوقف ولم تنته.. وأضاف في احتفال

في النبطية: «نحن في مرحلة مؤقتة يمكن أن تفتح لاحقًا على مواجهة هذا العدو لأنه يحمل نفسًا عدوانية، ولا يزال معتديًا على أرضنا في مزارع شبعا وغيرها، ولا يزال يحتفظ بالأسرى والمعتقلين»..

وفي الشأن الانتخابي أشار إلى دخول السلطة والمال والإعلام وكل الإمكانات سواء أكانت موالية أم معارضة في بازار إسقاط معنويات الانتخابات حتى بات الجميع يريد الخلاص ومرور الأيام المقبلة لترتاح النفوس. وسأل: هل يصح أن يستخدم البعض الإطار المذهب للتحريض من أجل مكاسب إضافية في عدد الأصوات، وأن يشتري البعض الضمائر وأن تُلفق التهم..

إسرائيل ستُحمِّل «حزب الله» تبعة أي عمل داخل فلسطين المحتلة

وأضاف الأمين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصر الله: «أن إسرائيل ستحمِّل الحزب مسؤولية أي عمل داخل فلسطين المحتلة، لأنه أدخل ثقافة جديدة وقدوة جديدة انتقلت عدواها إلى هناك».. وأضاف: لذلك نجد أن غالبية الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج يائسة من التسوية، وتعرف أن الطريق الوحيدة لاستعادة فلسطين والمقدسات هي طريق حزب الله..

وتابع في «مهرجان التحرير والنصر» في مدينة الهرمل: «نحن مسئولون أن نحافظ على هذه الثقافة وهذا النهج، لأنه يمكن أن يؤسس لتحول كبير في منطقتنا وهذا يعني أن نبتعد عن كل حساب طائفي أو مناطقي أو عشائري عندما نواجه القضايا الوطنية الكبرى..»

ورأى أن لبنان مازال في دائرة الخطر والتهديد، لذلك لا يجوز لأحد أن يتعاطى مع الأحداث والتطورات والأوضاع، وخصوصًا على المستوى اللبناني من منطلق أن مشكلتنا مع إسرائيل انتهت، رد أن هناك جزءًا من أرضنا مازال تحت الاحتلال وبعضًا من إخواننا مازالوا في الأسر..

وكرَّر موقف «حزب الله» من تهديدات قائد سلاح البر الإسرائيلي الجنرال موشيه ايفري.. وقال: «إن تصريحه يحمل ضعفه فيه..» وسأل:

مادام يهدد.. لماذا لم يبق في لبنان؟

واستبعد نصر الله العمليات السريعة.. وقال: اليهود أجبن من أن يزجوا بعد الذي حصل في لبنان بضباطهم وجنودهم في مواجهة المقاومين وهم يخافون العودة إلى لبنان، ونؤكد لقائد سلاح البر أن كل هذه التهديدات والتهويلات لم تجد في السابق نفعًا معنا، ولن تُجدي اليوم ولا في المستقبل شيئًا، ولأننا أقوى مما مضى وأشد عزمًا». وأضاف: «عندما كانوا يهددونا في السابق كانت مستعمراتهم بعيدة عشرات الكيلومترات وكنا لا نخشاهم، فكيف اليوم وكل مستعمراتهم تحت أقدام مجاهدي المقاومة الإسلامية؟».. وأكد: «إننا لسنا في الموقع الذي يرعبه التهديد أو يُخيفه التهويل أو يعيد حساباته، وإن المواجهة لن تكون نتيجتها إلا النصر».

ودعا نصر الله الدولة إلى معالجة مشكلات منطقة بعلبك –الهرمل.. خصوصًا إنمائيًا وحياتيًا.. وقال: يجب أن نكون في برنامج واحد مع المناطق المحررة، وفي أول زيارة لرئيس الجمهورية العماد إميل لحود حدثته عن هذا، وفي أول لقاء رسمي مع الرئيس بشار الأسد سنطلب منه هذا، وهو الذي فتح باب العناية للاقتصاد في سورية، ولبنان مرتبط بسورية في وحدة المصير ومن ضمنه الشأن الحياتي والإنمائي والاقتصادي..

سلمنا القضاء شبكة تعمل لمصلحة إسرائيل

ولقد وصف الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصر الله الشروط التي تفرضها الدول المانحة على لبنان من أجل عقد مؤتمرها، بأنها «تعجيزية وتأتي للنيل من لبنان والعمل على تجريد المقاومة من سلاحها» وشبهها بـ «الاحتلال الإسرائيلي» وأشاد في حديث إلى وفد نقابة المحررين برئاسة النقيب ملحم كرم، «بالثقة الكاملة» التي قامت بين رئيس الجمهورية والحكومة إميل لحود وسليم الحُص من جهة والمقاومة من جهة أخرى في ما يتعلق بملف الجنوب معتبرًا أنها سهلت الانتصار الذي تحقق.. وأشار إلى ما يحدث الآن وقال: إن إسرائيل يجب ألا تطمئن لحظة واحدة مادام هناك أسرى ومفقودون وأراضٍ محتلة مثل مزارع شبعا وسواها..

وأكد التزام المقاومة ما تقوله الدولة. وأضاف: «إذا قالت إن شبعا ومزارعها أراضٍ لبنانية، كان على المقاومة أن تعمل جهدها لتسهم في استرجاعها إلى الوطن..»

ونفى أن تكون المقاومة أنشأت كيانًا أمنيًا رسميًا.. وأعلن عن كشف شبكة تخريب سرية كانت تعمل لمصلحة إسرائيل بعد جلاء القوات الإسرائيلية ولديها أجهزة اتصال بها، وكانت تخطط لعمليات قتل في الشريط الحدودي، وقد سلم الحزب أفرادها إلى القضاء اللبناني.

وأكد أن كل ما قامت به المقاومة هو تسليم المطلوبين إلى الدولة ولم تتولَّ يومًا شأن التحقيق معهم أو معاقبتهم في إشارة إلى المعاملين مع إسرائيل وعناصر «جيش لبنان الجنوبي» السابق.. وأضاف: «إن هناك من يقول إن القضاء يتساهل أما نحن فنؤمن بالقضاء وبعدالته..»، وعن تشكيل الحكومة المقبلة قال:

إن ثقة «حزب الله» غالية ولن تمنح بسهولة لمن لا يستحقها نحن لا نتدخل في قضايا المحاصة ولا نبحث في الأسماء، وما يهمنا البرنامج وليس مهمًا أن نكون ممثلين في الحكومة أم لا.. المهم أن تكون الحكومة قادرة على تحرير لبنان من صعوبات كثيرة خصوصًا على الصعيد الاقتصادي وقضية ملف الجنوب الذي لا يزال مفتوحًا..

وفي الوفاق الوطني لفت النظر إلى المصارحة والتفاهم بعيدًا عن المذهبية، وقال:

«إن حزب الله لم يساوم للحصول على مكاسب وأن التحالفات التي حصلت كانت قائمة قبل الانتصار..» واعتبر أن الحوار الوطني لا يجوز أن ينطلق من مسبقات بل يجب أن يكون نتيجة دراسة، وجلوس إلى طاولة ومحاولة للوصول بالمشكلات إلى حلول تُرضي كل الفُرقاء..

وعن العفو عن الدكتور سمير جَعْجَعْ وعودة ميشال عُونْ أكد أن الشأن قضائي ويجب أن يبقى في إطاره.. وقال: عن استمرار الاستنهاض الطائفي يقود إلى حرب أهلية ويمهد لها.. مشددًا على ضرورة التعاطي معه بموضوعية وهدوء ومن منطلق الإيمان بضرورة حصول الاستقرار في لبنان..

تفاصيل الـ ٨ دقائق التي هزت إسرائيل

العملية في حد ذاتها وكيف تمت.. في معلومات التي وردت أن قيادة «حزب الله» استبقت التنفيذ بعملية مراقبة طويلة النفس للشريط المسيَّج والمراكز العسكرية الإسرائيلية امتدت أسابيع، وقبل العملية الأخيرة بساعات قليلة صدرت أوامر واضحة إلى القيادة العسكرية بالتوجه إلى الجنوب، وأسندت إلى كل مجموعة مهمة واضحة. مثل هذه الأوامر كانت عادة تُعطَى في كل مرة يظهر أمين عام الحزب في إحدى القرى الجنوبية أو البقاعية المتقدمة، مما يدل على أن السيد حسن نصر الله كان في المنطقة لحظة التنفيذ..

المهم أن الجهاز الأمني التابع للحزب كان مستنفرًا في معظم المناطق الحدودية من دون أن تُعرف الأسباب الحقيقية الكامنة وراء هذا الاستنفار، لكن «الحجة» المعلنة كانت أن «السيد» – أي الأمين العام – قد يكون في زيارة لبعض أسر الشهداء أو المعتقلين، وأن حمايته في هذه المرحلة تتطلب يقظة وخاصة في ضوء المعلومات التي تتجمع عن خطة أو خطط إسرائيلية جديدة لاغتياله، وكل هذا أبقى حركة الحزب ناشطة طوال الساعات التي سبقت التنفيذ..

وتقول رواية أخرى أن مسئولَيْن عسكريَّيْن كبيرَيْن تابعين مباشرة للأمين العام هما اللذان أشرفا على التخطيط والتنفيذ بعد دراسة وافية وتدقيق في كل التفاصيل الميدانية، وأن حسن نصر الله تابع بنفسه كل مراحل التخطيط وحرص على أن يكون قرب الموقع الذي شهد عملية الأسر كي يطمئن إلى أن كل شيء في محله، من دون أن يمر بالأقنية الأمنية التقليدية.. وهذا يعني أن الأمين العام هو الذي أعطى الأوامر بنفسه ودرس بنفسه، واستعان بمستشاريه قبل أن يعلن أنه يتحمل مسئوليتها بشكل كامل، وقبل أن تتحول بيروت إلى مركز وساطات دولية من أجل تأمين المقايضة..

وفي تفاصيل أخرى أن المجموعة التي تولت التنفيذ الميداني بدأت بإطلاق قنبلة صوتية أمام الدورية الإسرائيلية. عقبتها زخات نارية في الهواء قبل أن يتوجه أحد أفراد المجموعة ليقف أمام المجنزرة ويطلب من جنودها الترجل مهددًا بتفجيرها إذا

هم لم يذعنوا، وبسرعة نزل الجنود الإسرائيليون وانبطحوا أرضًا.. فعالجهم أفراد المجموعة بوخز الإبر المخدرة، وتم إخراجهم محمولين على الأكتاف قبل أن تتحرك الطائرات المروحية لترسم دائرة نار في المنطقة التي حصلت فيها العملية، ثم تبدأ بتعقب كل السيارات المدنية لشل حركتها في اتجاه الشمال..

وما حصل في النهاية هو أن مجموعة من سبعة كوادر هي التي تولت التخطيط والتنفيذ ببرودة وثقة استنادًا إلى رصد ميداني لكل المعطيات وتصور واقعي لكل الاحتمالات.. والعملية التي أسر فيها العسكريون الثلاثة على طريق «بركة النقار» لم تستغرق سوى ثلاث دقائق، وكانت أشبه بالأفلام البوليسية، أما نقل الأسرى إلى الداخل فقد تطلب خمس دقائق تقريبًا، بما في ذلك القفز من فوق «الخط الأزرق» ونُقل الإسرائيليون إلى حيث لا يعرف بهم أحد..

وفي المعلومات التي توفرت حتى الآن أن الجنود أصيبوا بالذهول منذ انفجرت القنبلة الصوتية، ولم يتمالكوا أعصابهم أمام رؤية رجال «حزب الله» على طريق شبعا في منطقة وعرة جدًا.. ثم إن القصف الذي استهدف مواقع الجيش الإسرائيلي في المنطقة لحظة تنفيذ العملية شغل هذه المواقع بحماية نفسها، فتناست أمر الدورية التي وقعت في كمين المقاومين السبعة. ثم إن الإمدادات الإسرائيلية السريعة التي كان يفترض أن تصل إلى بقعة الكمين تأخرت لأنها كانت تجهل طبيعة ما يدور في هذه البقعة، الأمر الذي أعطى المجموعة المنفذة وقتًا كافيًا للخروج من المنطقة..

نصر الله يدعو قمة الدوحة إلى عزل إسرائيل

طالب الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصر الله القمة الإسلامية المنعقدة في الدوحة بخطوات جدية لقطع علاقات الدول العربية والإسلامية مع إسرائيل داعيًا إلى تعطيل مفاعيل الضغوط الأمريكية على الحكومات والأنظمة.. كما دعا إلى عزل إسرائيل مجددًا في المنطقة وتقديم الدعم لشعب فلسطين حتى لا يحاصره أحد.. وقدر قيام قطر بإقفال مكتب إسرائيل التجاري لديها ولو متأخرًا..

وقال نصر الله في كلمة له في احتفال بيوم شهيد «حزب الله»:

في سنة ٢٠٠٠، بالمقاومة في لبنان والانتفاضة في فلسطين، الوقائع تجعلنا نقترب من النبوءات. وهي أن مشروع إسرائيل الكبرى سقط..

وأضاف: «يجب أن يشعر أي نظام عربي أنه إذا لم يقطع علاقاته مع إسرائيل فإنه مهدد بالسقوط..» وهذا يجعل السيد الأمريكي يتفهم ظروف هذا النظام العربي أو هذا الزعيم العربي، وقال: «لا يجوز أن تهدأ الشوارع العربية، ولا يجوز أن يتحول قتل الشعب الفلسطيني اليومي إلى خبر عادي.. وعن التهديدات الإسرائيلية للبنان وسورية قال: «إن الإدارة الأمريكية وسفيرها في بيروت تساعد في نقلها كل يوم.» واعتبرها تهويلاً وقال:

«لا تخافوا.. فالخائف هو رئيس وزراء إسرائيل (إيهود باراك) ورئيس الأركان (شاؤول موفاز) واشكينازي.. والمستعمرات».. وهدد بدوره قائلاً:

«يخرقون الأجواء ويرسلون المروحيات ويحاصرون البحر.. هذا لن يبقَى من دون ردٍّ، ولا يغير من حقنا في متابعة تحرير أرضنا وأسرانا والتربص والانتظار ومراقبة التطورات في فلسطين المحتلة، ولا يظن الصهاينة أن في إمكانهم التمادي.. ولن نتخلّى عن مسئولياتنا، لا تجاه لبنان ولا تجاه الشعب الفلسطيني والقدس والمسجد الأقصى..

حزب الله الفلسطيني

هل يمكن أن ينشأ حزب الله الفلسطيني على غرار حزب الله اللبناني؟. ما هي إمكانية ذلك، وهل يفعل بإسرائيل ما فعله حزب الله اللبناني بها؟. هل الظروف الفلسطينية مشابهة للظروف اللبنانية؟.. أم أن تلك الظروف -الموضوعية الذاتية - أفضل أم أقل ملاءمة لنشأة مثل هذا الحزب؟..

سنحاول الاقتراب من التجربتين اللبنانية، والفلسطينية، ونحدد بالتالي السيناريوهات المحتملة في هذا الإطار.

إذا قلنا إن حزب الله اللبناني الذي نشأ في أوائل الثمانينات على يد مجموعة من المجاهدين وعلماء الدين أمثال راغب حرب والسيد عباس الموسوي الأمين العام

الأول للحزب والذي استشهد بعد ذلك على يد القوات الإسرائيلية بعد أن رصدته أجهزة العدو في عودته من حفل تأبين ذكرى الشيخ راغب حرب، ومن ثم أطلقت الطائرات الإسرائيلية الصواريخ على موكبه فاستشهد مع زوجته وابنه، وإذا قلنا إن ذلك الحزب قد امتلك الرجال المؤسسين الأفذاذ من أمثال راغب حرب وعباس الموسوي ثم السيد حسن نصر الله، فإن الواقع الفلسطيني به رجال أيضًا، بعضهم استشهد من أمثال الشهيد فتحي الشقاقي، ونبضهم لا يزال حيًا، مع الأخذ في الاعتبار أن الخطاب السياسي لكل من راغب حرب وعباس الموسوي شديد التشابه مع الخطاب السياسي لفتحي الشقاقي، والثلاثة قدموا أرواحهم كدليل على الوعي والإخلاص، وفي الواقع الفلسطيني هناك الشيخ أحمد ياسين «حركة حماس» ولكن خطابه السياسي مختلف بالطبع، ربما لأن الواقع الفلسطيني مختلف.

إذن فالخطاب السياسي القادر على تحريك الجماهير في كل من لبنان وفلسطين موجود، بل ربما كانت الآثار الفكرية للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي أكثر من تلك الخاصة بالشيخ راغب حرب وعباس الموسوي، هذه نقطة لصالح الفلسطينيين، وكذلك هناك ملحمة متصلة أكثر عمقًا تتصل بذلك الخطاب منذ ثورات العشرينات والثلاثينات وعز الدين القسام «الشيخ المجاهد» في حين أن الخطاب السياسي لحزب الله وإن كان عميقًا في التربة اللبنانية وسابقًا على نشأة حزب الله بالطبع، إلا أنه لا يصل إلى عمق الخطاب الفلسطيني بهذا الصدد، ونقصد ذلك الخطاب الذي يستلهم الإسلام في الكفاح الشعبي ويعتبر القضية الفلسطينية قضية مركزية للأمة الإسلامية والجماهير العربية.. وأن الكفاح الشعبي المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، كامل التراب الفلسطيني وأن إسرائيل لا تفهم سوى لغة القوة، وأن الصراع صراع حضاري عنيد في الزمان والمكان، وأن إسرائيل غُدة سرطانية، ومفرزة استعمارية متقدمة في المنطقة، ووكيل عن الاستعمار الغربي في إطار الصراع ضد ذلك الاستعمار لتحقيق التحرير والنهضة..

الظروف التي نشأ فيها حزب الله وطريقة نشأته – في رأينا ظروف أشد صعوبة من مثيلتها الفلسطينية، فحزب الله نشأ بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، وذلك الاجتياح الذي شهد مقاومة باسلة من مجموعات إسلامية مرتبطة بكل من عباس

موسوي وراغب حرب، ومن ثم تطورت فكرة المقاومة إلى حزب الله مع الأخذ في الاعتبار هنا أن الظرف آنذاك كان هيمنة إسرائيلية واحتلالاً وحكمًا مارونيًا عميلاً «بشير الجميل» وخروج المنظمات الفلسطينية من بيروت، ثم حربًا أهلية لبنانية استغرقت أكثر من ١٠ سنوات، وتشرذمًا عربيًا غير عادي بعد توقيع الرئيس المصري السابق أنور السادات لاتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩، والشيء الوحيد الإيجابي كان الدعم النفسي والمعنوي لجماهير الشيعة في لبنان – وهم العمود الفقري لحزب الله – بعد انتصار الثورة الإيرانية عام١٩٧٩، والاهتمام الشخصي للإمام الراحل آية الله الخُميني بقضية المقاومة ضد الكيان الصهيوني ودعم القضية الفلسطينية..

الخلفية الفلسطينية أكثر اتساعًا، فإذا كانت المقاومة اللبنانية قد نشأت في أحضان المواجهة ضد الاجتياح الصهيوني، فإن ظروف انتفاضة عام ١٩٨٦ خلفت أوضاعًا فلسطينية أفضل، وكذلك فإن الموضوع الطائفي – وهو اعتماد حزب الله على عناصر الشيعة تحديدًا في لبنان – وإن كان تجاوز ذلك في حركته وخطابه السياسي واستطاع بناء علاقات جيدة مع مختلف الطوائف، إلا أنه يظل في النهاية حزبًا شيعيًا – فإن حزب الله في فلسطين لو تكون من المقاومة الإسلامية لن يعاني مثل تلك المشكلة، وسوف يمثل كل الشعب الفلسطيني بلا استثناء المسلم والمسيحي على حد سواء، لأن المسألة الطائفية هنا غير مكرسة، وهي ميزة لا شك فيها لصالح الفلسطينيين.. وإذا قلنا إن تعميد المقاومة اللبنانية بالدم والشهادة وبالتالي المصداقية جاء عبر حادثة نسف مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور عام ١٩٨٣ على يد أمير الشهداء قاسم قصير، فإن المقاومة الإسلامية في فلسطين المحتلة قد نفذت عشرات العمليات الاستشهادية على مدى العشر سنوات السابقة، على يد رجال «حماس والجهاد الإسلامي»، وهي عمليات لا تقل أهمية عن العمليات الاستشهادية لحزب الله.

وإذا كان حزب الله في لبنان قد اعتمد سلاح الإيمان والإرادة، وآمن بأن الإنسان أقوى من التكنولوجيا، وأن إرادة الأمة أقوى من كل ترسانات الأسلحة ومكر الأجهزة الاستخباراتية، وأن بالإمكان هزيمة الكيان الصهيوني، وأثبت بانتصاره على

إسرائيل وإجبارها على الفرار من جنوب لبنان بلا قيد أو شرط، أن بإمكان قوة صغيرة مكافحة أن تنتصر على أقوى قوة إقليمية ومن ورائها أكبر قوة عالمية، وكل هذا بالطبع موجود في تراث حركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية وحاضر في ذمتها وأدبياتها، وربما الشيء الوحيد في هذا الصدد هو أن التأييد الإيراني ـ والدعم بالتالي وإن كان موجودًا في الحالتين ـ فهو أكثر عمقًا واتساعًا في حالة حزب الله اللبناني..

من وجهة نظرنا فإن الظروف الموضوعية في فلسطين المحتلة تساعد أكثر في إذكاء روح المقاومة، فمعاناة الفلسطينيين الشديدة أكثر بالطبع من معاناة الشعب اللبناني، وإسرائيل التي تحاصر المناطق وتحرم الفلسطينيين من العمل وتدني الأوضاع الاقتصادية في غزة والضفة وتفشي حالة البطالة، والقمع الإسرائيلي المستمر كلها أمور تصب في خانة الثورة والمقاومة، بل وفشل مشروع أوسلو والتسوية وإحساس الفلسطينيين بعدم جدوى السلام على مستوى الكرامة الوطنية، وعلى مستوى الظروف المعيشية، كل هذا جعل الشعب الفلسطيني برمته في حالة استنفار –فظهرُه إلى الحائط وكرامته مجروحة، وكذلك فإن هناك عمقًا استراتيجيًا مهمًا يتمثل في وجود ١.٢ مليون فلسطيني عربي يعيشون داخل أراضي ١٩٤٨، وهؤلاء بدورهم يتعرضون للقمع والاضطهاد والتمييز العرقي على يد الدولة، وعلى يد المستوطنين والمتطرفين والإسرائيليين، وهويتهم وإحساسهم بالقضية متصاعد ولم يعد محل شك، وهؤلاء يمثلون اختراقًا مُهمًا في جسم المجتمع الإسرائيلي، فهم يعيشون تحت جلد الإسرائيليين وفي نخاعهم العظمي، وإذا ما تم استخدام هذه الورقة فإن نهاية إسرائيل قريبة جدًا إن شاء الله تعالى، إذا فإن وجود الفلسطينيين سواء داخل أراضي ١٩٤٨ أو المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ تحت جلد إسرائيل هي ميزة مهمة للمقاومة الفلسطينية، والإسرائيليون أنفسهم يدركون هذه الحقيقة، وقد عبر عن ذلك عدد من كبار ضباط العدو الصهيوني، فقد نقلت صحيفة معاريف الصهيونية عن ضابط إسرائيلي كبير في قطاع غزة قوله إن الجنود الصهاينة الذين خدموا في جنوب لبنان ولم يخشوا حزب الله يخافون الآن من الخدمة العسكرية داخل قطاع غزة، وقد اعترف أحد الضباط بذلك بقوله:

«إن الخوف الذي يأخذ تعبيراته في حالات الانهيار النفسي التي تعرض لها

العشرات من الجنود أثناء تأدية مهامهم العسكرية في قطاع غزة.....»، وفسر ضابط آخر ذلك بقوله:

«إن شعوري بالخوف من الخدمة في قطاع غزة رغم أنني خدمت في جنوب لبنان هو إننا كنا نواجه حزب الله في لبنان وهو بعيد عنا في أغلب الحالات لكننا في قطاع غزة نشعر بأن حزب الله يعيش معنا لحظة بلحظة، يسير معنا في الطرقات، كل طفل، كل امرأة، كل شرطي فلسطيني يقابلك في الطريق يمكن أن يتحول فجأة إلى عنصر حزب الله ويطلق عليك النار من مسافة قصيرة أو يتفجر بالقرب منك»..

وإذا كان حزب الله في لبنان قد استخدم مقولة أنه حركة تحرر وطني يريد تحرير الأراضي اللبنانية، وبالتالي استطاع أن يكتسب مشروعية لبنانية وعربية وعالمية رغم أنف الجميع، فإن ذلك موجود بالنسبة لحالة المقاومة الفلسطينية بل وبصورة أشمل، فكل فلسطين محتلة وكل الشعب يعاني من الطرد والمذابح والقمع..

وإذا كان حزب الله قد استخدم الخطاب الإسلامي المجاهد في حشد جماهيره والحصول على تأييد شعبي عربي وإسلامي، واستطاع أن يمتلك وجدان الجماهير العربية، بالتالي فإن ذلك أيضًا متاح بالنسبة للمقاومة الفلسطينية، بل هناك ميزات نوعية مهمة في هذا الصدد، فالنصوص الدينية تدعو إلى قتال الإسرائيليين تحديدًا وتتحدث عن صراع على أرض فلسطين، وأن أرض فلسطين أرض مباركة، وكذا وجود المسجد الأقصى والمقدسات الإسلامية يجعل الوجدان الجماهيري في حالة توتر دائم.. وكل هذا لصالح المقاومة..

لو أجمعت فصائل المقاومة الفلسطينية أمرها، وارتفعت فوق خلافاتها واتخذت طريق حزب الله، فإن الكيان الصهيوني الذي بدا هشًا أمام سكين المقاومة اللبنانية سيكون أكثر هشاشة أمام المقاومة الفلسطينية، ولن يصمد التماسك الاجتماعي الإسرائيلي كثيرًا، وسوف يحدث التفسخ والتشرذم بين فئات المجتمع الإسرائيلي، وربما نكتشف أن نهاية إسرائيل تحت وطأة المقاومة قريبة جدًا، بل أقرب من العين إلى الحاجب..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين